



إبراهيم عبد القادر المازني

ديوان المازني

ديوان المازني

تأليف
إبراهيم عبد القادر المازني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٧١٢ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٦١.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

١١	الجزء الأول
١٣	الطبع والتقليد في الشعر العربي
٢٧	الإهداء
٢٩	الورد
٣١	الماضي
٣٣	الدَّارُ المهجورة
٣٥	الجمال إذا هوى
٣٧	الإخوان
٣٩	فتى في سياق الموت
٤١	المناجاة
٤٣	أحلام الموتى
٤٥	أمانى وذكر
٤٧	ثورة النفس
٤٩	ليلة وداع
٥١	رقية حسناء
٥٣	الوردة الذابلة
٥٥	لحظ الحبيب
٥٧	بعد الموت
٥٩	لفظ الحبيب
٦١	مناجاة شاعر

٦٣	إلى صديق قديم
٦٩	الذكرى
٧١	مناجاة حسناء
٧٣	قبر الشعر
٧٥	عتاب
٧٧	مناجاة ملاح
٧٩	السُّلُو
٨١	حالة
٨٣	ليلة
٨٥	هيهات بابل من نجد
٨٧	استقبال صديق
٨٩	حلم اليقظة
٩١	الكتمان
٩٣	النظر
٩٥	إلى صديق
٩٧	الخمير والحب
٩٩	وصية
١٠١	الخمير والحب
١٠٣	إلى عاتب
١٠٥	الإسكندرية
١٠٧	حلم اليقظة
١١١	مناجاة الهاجر
١٢١	العتاب
١٢٣	الملل من الحياة
١٢٥	الخاتمة
١٢٧	الجزء الثاني
١٢٩	الإهداء
١٣١	المقدمة

المحتويات

١٣٧	الراعي المعبود
١٣٩	الوردة الرسول
١٤١	نهر الحياة
١٤٣	لشاكسبير
١٤٥	حواء والمرأة
١٤٧	من رباعيات عمر الخيام
١٤٩	كل يوم لي شكاة
١٥١	وإلا
١٥٣	ألحان بنات البحر
١٥٥	البحر والظلام
١٥٧	في المناجاة
١٥٩	الماضي الحي
١٦٣	فلسفة المحب
١٦٥	الصدق في الكذب
١٦٧	القطيعة
١٦٩	الربح والخسارة
١٧٣	ظماً النفس إلى المعرفة
١٧٥	على لسان الأقدار
١٧٧	الأقدار
١٧٩	شفاعة الحب
١٨١	مراجعة الحب
١٨٣	لا ملام ولا عتاب
١٨٥	العاشق المعشوق
١٨٧	الإنسان والغرور
١٨٩	أشباح الماضي على جثة الأمس
١٩١	سحر الحب
١٩٣	الشوكة الجديدة
١٩٥	مخلوق الخيال

١٩٧	الشاعر المحتضر
٢٠١	خواطر الظلام
٢٠٣	عزاء الشعراء
٢٠٥	زهرة الشر أو الحب
٢٠٧	محاسبة النفس
٢٠٩	تقديم الصبوات
٢١١	عظة المحبوب
٢١٣	عبث الحياة وباطلها
٢١٥	حلم الشباب
٢١٧	الشاعر
٢١٩	إلى العقاد
٢٢١	إلى صديق
٢٢٣	أنشودة الشتاء
٢٢٥	الأسافل والأعالي
٢٢٧	مناجاة الحسن
٢٣١	الأزاهير الميتة
٢٣٣	زهرة الصخر
٢٣٧	إكليل الشوك
٢٣٩	الموت ثمرة الحياة
٢٤١	وحشة الحياة
٢٤٣	الطفولة
٢٤٥	عالم الكرى وعالم اليقظة
٢٤٧	إلى رجل يشتمنا
٢٤٩	إلى مُدِلٍّ بجماله
٢٥١	اللحظ المصروف
٢٥٣	إلى صدقي
٢٥٥	الشعر والريح
٢٥٧	في الرثاء

٢٥٩	في العتاب
٢٦١	الغزال الأعمى
٢٦٣	ليلة
٢٦٥	العقل والموت
٢٦٧	الليل والهم
٢٦٩	الضمير
٢٧١	الملّاح المسحور
٢٧٣	مخاوف النفس
٢٧٥	حصاد عيش
٢٧٩	محمد وعزوز أو الموسيان
٢٨١	يا أم
٢٨٣	الميت الحي
٢٨٥	الجزء الثالث
٢٨٧	معاهدة غرامية
٢٩١	اللص
٢٩٣	خواطر في الموت
٢٩٥	إلى صديق
٢٩٧	في رثاء بنت لي
٢٩٩	غدا
٣٠١	خواطر الأرق
٣٠٣	وصية شاعر
٣٠٥	هاجس
٣٠٧	ولهم الثاني
٣٠٩	كان لي
٣١١	وقف في الحياة
٣١٣	إنشاء الشاعر شعره
٣١٥	إلى العقاد
٣١٧	النسر المهيض

٣١٩	الحمار المُستأسَد
٣٢٣	كَأْسُ النُّسَيَّانِ
٣٢٥	الغريرة
٣٢٧	شهداء الغُربة
٣٢٩	أَيْنَ أُمُّكَ
٣٣١	إِلَى الْعَقَّادِ
٣٣٣	رثاء الشَّهيد محمد بك فريد
٣٣٧	ليلة وصباح
٣٤١	الدَّهر والحياة
٣٤٣	تحية البطل
٣٤٧	العِراك
٣٥٩	في المُنَاجاة
٣٦١	انظر إلى وجهي
٣٦٣	إلى صديق

الجزء الأول

سبق طبع هذا الجزء في حياة الشاعر — رحمه الله — وهو مشروح بقلمه.

الطبع والتقليد في الشعر العصري

للشاعر الكاتب العبقرى الجليل عباس محمود العقاد

حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم إن أراد أن يكون شاعرًا عصريًا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدي والمعارضة، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيـام والبقاع، وَصَفَ هو البخار والمعاهد والأمصـار، وإن كانوا يشببون في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب، ذكر هو اسمًا من أسماء نساء اليوم، ثم حور من تشبيـهاتهم، وغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي؛ فيقال حينئذٍ: إن الشاعر مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم.

وهذا حسابان خطأ؛ فما أبعدَ هذا الشعر عن الابتداع! والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي؛ لأنه ضرب من ضروب التقليد، فلولا أن شاعرًا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعارضوه، وإن شئت فارفع النموذج من أمام أعينهم تقف الأقلام في أيديهم ولا يخطون خطأ، فلو أن الشاعر منهم كان نقاشًا لَمَا عَرَفَ كيف يطلي جداره بالدهان الأبيض، ما لم يرَ أمامه جدارًا أسود الدهان.

وليس المبتدع كمن يبتني له حوضًا تجاه ينابيع المطبوعين، يرصفه بحجارتها وحصبائها، ويملؤه بطينها ومائها، ثم يدعوه بغير أسمائها، ولكن المبتدع من يكون له ينبوع يستقي منه كما استقوا، ولا قبل بذلك إلا لمن كان له سائق من سليقة تهديه إلى

مواقع الماء، وبصر كبصر الهدهد يزعمون أنه يرى مجاري الماء تحت أديم الأرض وهو طائر في الهواء.

كان شعر العرب مطبوعاً لا تصنع فيه، وكانوا يصفون ما وصفوا في أشعارهم ويذكرون ما ذكروا؛ لأنهم لو لم ينطقوا به شعراً، لجاثت به صدورهم زفيراً، وجرت به عيونهم دمعاً، واشتغلت به أفئدتهم فكراً، وأمّا نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا؛ فهي لا تهتاجنا كما اهتاجتهم، ولا تُصبينا كما أصبتهم، وإذا سكتنا عن النظم فيها لا تخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم، ولكنه يتحدث بهم، ويصف ما عنده من الأسف عليهم، أو الشوق إليهم.

والشعر العصري كهذا الشعر في أنه شعر الطبع، وأنه أثر من آثار روح العصر في نفوس أبنائه، فمن كان يعيش بفكره ونفسه في غير هذا العصر، فما هو من أبنائه، وليس خواطر نفسه من خواطره.

تمر على صفحة الزمن عصور خابية، لا تسمع لها حساً، ولا تختلج العين من جانبها بقبس، ويكاد يكون الفلك قد قذف بها من جوفه ميتة، فهي من لحدها في مهد، ومن مهدها في لحد.

هذه عصور لا ترى لأحدها ملامح ينماز بها عما قبله أو ما بعده، وهي عصور الغفلة التي تعقب إدبار الدول، تنعدم فيها ملكة الابتكار، وينشر التقليد رواقه على كل مزاوالت الحياة؛ فلا ترى عالماً ولا أديباً ولا حاكماً ولا تاجراً ولا صانعاً إلا وهو مقلد في عمله، ويكل الناس أمرهم إلى فئات تصوغ لهم الأفكار والعقائد والأدواق، وتُخرجها إليهم متشابهة، كما تُخرج المعامل مصنوعات إلى الشراة من طراز واحد.

وقد أصاب الأدب العربي هذه الآفة، فقتلت فيه روح البراعة والصدق، وقصرته زماناً على التقليد والمحاكاة، حتى لقد بلغ بهم الولوع بما سَمَّيناه الابتداع التقليدي، أنهم وصفوا الدمع الأحمر، والدمع الأصفر، والدمع الأزرق، والدمع الأخضر، والدمع البنفسجي، وحسبوا ذلك من بدائع الافتنان، وأنهم جاءوا بطائل كبير.

على هذه الوتيرة من الكذب في الإحساس، والتقارب في سياق النظم، ومعاني الشعر، كان غالب شعراء اليتيمة، حتى لتحسب الكتاب — لولا قليل من الشعر الجيد الحي فيه — ديواناً لشاعر واحد.

وأخذ ينقه الأدب من هذه الآفة منذ نحو العشرين سنة، أي حين بلغت دعوة الحرية الفكرية مسامع الشرقيين فراغوا إلى أنفسهم يسألونها عن سالفهم ومؤتلفهم،

ويستفسرونها عن حياتهم ومماتهم، كما يسأل الناشئ نفسه إذا وُكل إليه أمره، وانفصل عن رعاية أبيه أو وليه؛ وكانت علامة ذلك أن ظهر التفاوت في الأساليب، وانفرد كل كاتب أو شاعر بطريقة في كتابته أو نظمه، والتفاوت في الأساليب دليل الاستقلال، والاستقلال دليل الطبع والحياة، وهل يتفق التشابه والتماثل إلا فيما له قوالب وأنماط؟ وأين القوالب والأنماط إلا في صيغ الألفاظ وتراكيبها؟

وكما يكون التفاوت في الأساليب بين شعراء الأمة دليلاً على حياتها، وتنبه الطبع في أبنائها، يكون التفاوت في شعر الشاعر دليلاً أيضاً على حياته وطبعه، ولقد سمعت أديباً يعيب شاعرية المتنبي ويصغرها لبعدها ما بين جيده ورديئه، وهو الآية على شاعريته عندي، إن لم تكن آية سواه؛ لأن الشاعر قد يحكم قلمه، ويدعو الألفاظ فتسعه، ولكنه لا يحكم طبعه، ولن يكون الطبع عند دعوته، بل إنما الإنسان عند دعوة طبعه، وهو رهن مما توحى إليه سجيته.

ولسنا نعني بذلك أن كل شاعر له في شعره الجيد والرديء، هو شاعر مطبوع، فإن لكل ذهن خامد جلوة، ولكل طبع بارد سورة، والريشة الميتة قد ترفعها الريح إلى حيث تحوم أجنحة الكواسر، وقد يسمو الطبع الكليل إذا استفزته العاطفة، فيسترق السمع من منازل الإلهام، ثم لا يكاد يلتفت إلى نفسه حتى يهوي إلى مقره، ويروقني في هذا المعنى قول لويس مترجم جيتي شاعر الألمان، وذلك إذ يقول في عرض كلامه عن رواية فوست: «ربما كانت مقدرة العقل الكبير لا تظهر إلا في مثل هذه الصغائر، وأما الكتاب الأصاغر فإنهم يبالغون في هذه الأغراض أو يقصرون عنها، ولكنهم لا يعطونها حقها، انظر إلى الأجسام فإنها تضيء كلها على درجات مختلفة من الحرارة، وكذلك صاحب العقل الخافت قد يأتي بالفلق، وينطق بالحكمة، وهو مضطرب النفس، محتدم الطبع، ولكن من تلك الأجسام ما يعود إلى المألوف من حاله، فينم عن غلظه وكثافته، والعقل الخافت إذا فترت حرارته، عاودته ضآلته، وفارقت تلك القوة التي اقتسرها على الخروج ضغط الأفكار المزدحمة عليه، ولذع العاطفة المتأججة فيه، وفي ذلك مصداق المثل السائر القائل: إن الكبائر تظهرها الصغائر، والريح إذا هبت على الماء تشابه الغمر بالضحضاح، حتى إذا استقرت الأمواج رأينا قاع الضحضاح قريباً، وعلمنا أن غور الغمر أبعد مما يصل إليه مسبارنا.»

وربما تشدد بعض النقاد فجعلوا شعور الشاعر بنفسه، حداً بين الطبع والتكلف، فإذا حُيِّل للنقاد وهو يقرأ القصيدة أنه نسي الشاعر، ولا يذكر إلا شعره، فالشاعر مطبوع،

وإن كان يلوح له وجه الشاعر من حين إلى حين بين أبيات القصيدة، فهو عنده متكلف صناع. ولست أنا ممن يميلون إلى هذا الرأي؛ لأنه يُخرج كثيرًا من الشعراء المجيدين من عداد الشعراء المطبوعين، ولا فرق عندي بين شاعر يشعر بنفسه في كلامه، وشاعر يغيب في عاطفته، إلا كالفرق بين المليح المزهو بجماله، والمليح الذي يوهمك كأنه قد نسي أنه جميل، على أن لكلٍّ منهما جماله، ونحن عَسِيَّون أن ننظر إلى ذلك الشعر، فإن كان صادقًا مؤثرًا فهو من شعر الطبع، وإلا فهو من شعر التكلف، وهو إذن لا بالمليح المزهو، ولا بالمليح الغافل عن جماله، وإنما هو دميم يتحالي بالطلاء والزينة.

ويختلف شعر الطبع في لغة الأمة بين عصر وعصر، كما يختلف منهاجه في العصر الواحد بين شاعر وشاعر، وكما تختلف درجته من الإجابة في شعر الشاعر الواحد بين قصيدة وقصيدة.

فالشعر العربي قد اتخذ له في كل عصر طريقة تناسب روح ذلك العصر، وهذه الطريقة العصرية لا تشبه طريقة البداوة، ولا هي في شيء من طريقة الدولة العربية، ولكنها طريقة يملئها عصرٌ تغَيَّرَ فيه محل الإنسان من بيئته ومجتمعه، وخلعت فيه الطبيعة أمام عينيه ثوبًا بعد ثوب، حتى وقفت بالمجسد بين يديه؛ فظهر له ما كان خافيًا، وازداد توقه إلى استطلاع ما لم يبْدُ، وكان فيما بدا له مقابح ومحاسن، كان سابق ظنه بها غير ما عاينه منها، فلو أن شعراء المذاهب بُعثوا اليوم من أرماسهم، لما نظموا حرفًا واحدًا من مذهباتهم، وكانوا في المذهب العصري أشد من أشد دعائنا غلوًا في الدعوة إليه. قلنا: إن الشعر العربي نشأ منشأً جديدًا من نحو العشرين سنة، ونقول: إنه كان نضالًا نزع فيه الظافر أسلاب المخذول، ولكنه لبسها؛ فكان ظافرهم ومخذولهم أقرب الناس زياً، وأشبههم بزة، ونحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة؛ لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالاً بعد جيلهم، فهم يشعرون شعور الشرقي، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي، وهذا مزاجٌ أول ما ظهر من ثمراته أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال، ورفع غشاوة الرياء، والتحرر من القيود الصناعية، هذا من جهة الأغراض والأنساق، وأما من جهة الروح والهوى، فلا يعسر على الندس البصير أن يلمح مسحة القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث، ويتفرس هذا القطوب حتى في الابتسامة المستكرهة التي تتردد أحياناً بين شفثيه.

وحسب الأدب العصري الحديث من روح الاستقلال في شعرائه أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنًا، فلن تجد اليوم شاعرًا حديثاً يهنئ بالمولود، وما نفص

يديه من تراب الميت، ولن تراه يطري من هو أول ذاميه في خلوته، ويقذع في هجو من يكبره في سريره، ولا واقفاً على المرافئ يودع الذاهب ويستقبل الآيب، وما بالقليل من هذه الروح الشماء في الأدب أنها استطاعت أن تُجهز على آداب المواربة والتزلف بيننا، أو تردها إلى وراء الأستار، بعد إذ كانت تتشد في الأشعار، وينادى بها في ضحوة النهار.

ولا مكان للريب في أن القيود الصناعية التي أشرنا إليها ستجري عليها أحكام التغيير والتنقيح، فإن أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه، وقرأ الشعر الغربي، فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة، وكيف تلين في أيديهم القوالب الشعرية، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربي على وضعه في غير النثر، ألا يرى القارئ كيف سهل على العامة نظم القصص المسهبة، والملاحم الضافية الصعبة، في قوافيهم المطلقة؟ وليت شعري بم يفضل الشعر العامي الفصيح إلا بمثل هذه المزية؟

ولقد رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثلاً من القوافي المرسلّة والمزدوجة، والمتقابلة، وهم يقرءون اليوم في ديوان المازني مثلاً من القافيتين المزدوجة والمتقابلة، ولا نقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافي وتنقيحها، ولكننا نعهده بمثابة تهبيء المكان لاستقبال المذهب الجديد؛ إذ ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل، فإذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد، وانفرج مجال القول، بزغت المواهب الشعرية على اختلافها، ورأينا بيننا شعراء الرواية، وشعراء الوصف، وشعراء التمثيل، ولا تطول نفرة الآذان من هذه القوافي، ولا سيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان.

وما كانت العرب تنكر القافية المرسلّة، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية، كما في قول الشاعر:

ألا هل إن لم تكن أم مالك	بملك يدي أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاءً وغلظةً	إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلًا واتركا الرحل إنني	بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشري رحله قال قائل	لمن جمل رخو الملاط نجيب

وكقول غيره:

بنات وطاء على خد الليل لا يشتكين عنتاً ما أنضين

وكقول الآخر:

جارية من ضبة بن أد كأنها في درعها المنعط

وبعض هذه القوافي — كما تراها — قريبة مخارج الرّويّ، وبعضها تتباعد مخارجه، ولكنهم كانوا على حالة من البداوة والفطرة لا تسمح لغير الشعر الغنائي بالظهور والانتشار، وكانوا لا يعانون مشقة في صوغ هذه الأشعار في قوالبهم، فلم يلجئوا إلى إطلاق القافية، ولا سيما في شعر يعتمد في تأثيره على رنته الموسيقية، وجاء العروضيون فعدوا ذلك عيباً، وسموه تارة بالإكفاء، وتارة بالإجازة أو الإجارة؛ لقلة ما وجدوا منه في شعر العرب، فلما انتقلت اللغة العربية إلى أقوام سلاّتهم وحالهم أميل إلى ضروب الشعر الأخرى، اعتسروا القوافي على أداء أغراضهم، ولم تشعر آذانهم بهذا الذي عده العروضيون عيباً في القافية، فاحتملت لغتهم المحرفة وقوافيهم المتقاربة ما لم تحتمله أوزان الجاهلية وقوافيها.

على أن مراعاة القافية والنغمة الموسيقية — في غير الشعر المعروف عند الإفرنج بشعر الغناء — فضول وتقيّد لا فائدة منه، ولا بد أن ينقسم الشعر إلى أقسام، يكون الشعر في بعضها أكثر من الموسيقى، ومن بقايا الموسيقى الأولى في الشعر هذه القيود اللفظية، وقد ذهب سبنسر في مقاله عن الرقي إلى أن الشعر والموسيقى والرقص، كانت كلها أصلاً واحداً، ثم انشق كلّ منها فناً على حدته، ومن قوله في ذلك: «إن الروي في الكلام، والروي في الصوت، والروي في الحركة، كانت في مبدئها أجزاءً من شيء واحد، ثم انشعبت واستقلت بعد توالي الزمن، ولا تزال ثلاثتها مرتبطة عند بعض القبائل الوحشية؛ فالرقص عند المتوحشين يصحبه دائماً غناء من نغم واحد، وتصفيق بالأيدي، وقرع على الطبول، فهناك حركات موزونة، وكلمات موزونة، وأنغام موزونة ... وفي الكتب العبرية أنهم كانوا يرتلون القصيدة التي نظمها موسى بعد قهر المصريين، وهم يرقصون على نقر الدفوف، وكان الإسرائيليون يرقصون ويتغنون بالشعر في وقت معاً عند الاحتفال بالعجل الذهبي ...

على أن الشعر وإن لم ينفصل بعد عن الموسيقى، إلا أنهما قد انفصل كلاهما عن الرقص، فقد كانت قصائد الإغريق الدينية القديمة ترتل ولا تُتلى تلاوة، وكان ترتيل الشاعر مقروناً برقص السامعين، فلما انقسم الشعر أخيراً إلى شعر غنائي، وشعر قصصي، وأصبحوا يتلون الشعر القصصي، ولا يرتلون إلا الشعر الغنائي، وُلد الشعر المحض، وأصبح فناً مستقلاً.»

ونحن لا نريد أن نفصل الشعر عن النغمة الموسيقية بتأناً، ولكننا نريد أن يكون نصيب الشعر المحض في غير شعر الغناء أكبر من نصيب النغم، وأن نبقي أثر دقة الرجل — ونعني به القافية — في الشعر الذي كانوا يدقون الأرض بأرجلهم عند إنشاده، أي شعر النزوات النفسية، والعواطف المهتاجة.

والآن وقد أتينا على طرفٍ من رأينا في تأثير العصر على أنساق الشعر وأغراضه نرى من تمام الكلام أن نقول كلمة عن تأثيره في روح الشعر، ونفوس الشعراء فنقول: إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس، وفتح أغلاقها كما قلنا، فلقد فتحها على ساحة من الألم تلفح المثل عليها بشواظها، فلا يملك نفسه من التراجع حيناً، والتوجع أحياناً، وهو العصر، طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق، ومستقبل مريب، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون، وبين ما هو كائن، فغشيتهم الغاشية، ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالماً غير الذي صورته لنفسه حادثة العصر وتقدمه، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالاً؛ فالمثل الأعلى أرفع في ذهنه منه في أذهان عامة الناس، وهو ألطفهم حساً، فألمه أشد من ألمهم، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن، فلا جرم إن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص، وأكثرهم سخطاً عليه، ولا جرم إن كان ديوان شاعرنا على حد قوله:

كل بيت في قرارته جثة خرساء مرنان
خارجاً من قلب قائله مثلما يزفر بركان

أيقال: إننا بالغنا إذا قلنا: إننا في عهد لا نشاهد فيه إلا مسخاً في الطبائع، وارتكاساً في الأخلاق، ونفاقاً في الأعمال والأقوال ...؟ لا والله بل يقال: إننا تغاضينا إذا لم نقل ذلك، وما يبالي متخرج في عهدنا أن يغمض عينيه، ثم يمضي على رأسه في الأسواق والنوادي، والجامع والمعابد، فأبي عاتق وقعت عليه يده، فيسأله ألا تعرف المعنى بهذه الأبيات:

يتلقاك بالطلاقة والبشـ	ر وفي قلبه قطوب العدا
كالسراب الرقراق يحسبه الظمـ	آن ماء وما به من ماء
عاجز الرأي والمروءة والنفـ	س ضئيل الآمال والأهواء
ألف الذل فاستنـام إليه	وتباهى به على الشرفاء
ينسج الزور والأباطيل نسجاً	والأكاذيب ملجأ الضعفاء
مستमित إلى المكاسب والربـ	ح دنيء الإسفاف والكبرياء
فاسق يظهر العفاف ويخفي	تحت الخزي يا له من مرء
مظلم الحس والبصيرة كالتمـ	ثال خلو من الحجا والذكاء
قد زهاه الشموخ فاختال تيهـ	ولوى شدقه على الخلصاء

فإنه لا يخطئ مرة إلا أصاب ألفاً؛ فقد وصف المازني في هذه الأبيات نموذج الرجل العصري، فلم ينسَ صفة من صفاته، وأنى لرجل العصر أن يكون غير ذلك، وهو يبصر غير ما يسمع، ويسمع غير ما يعتقد، ويعتقد غير ما يجراً على الجهر به، وذلك ديدن الناس في كل زمان تُحس في النفوس بالحاجة إلى الانتقال، فترسم مثال الكمال، ثم تكرر إلى عالم الحقيقة، فلا تقابل إلا النقص والقصور، وإنها لتظل كذلك تتذبذب بين الباطن والظاهر؛ وهذا هو عين التصنع والرياء، وإن اشتد، فقل الخبث والصفاقة والكبرياء.

فإذا رأيت شاعراً مطبوعاً في أمثال هذه الفترات المشؤمة يبتهج ويضحك، فاعلم أن بين جنبه قلباً صدى من نار الألم، أو حمأة الشهوات، وإلا فهو رجل مقلد ينظم بلسانه، ولا ينظم بوجدانه.

ألا ترى كيف كان حال الأدب في الفترة التي تقدمت الانقلاب الفرنسي؟ ألا تراهم كيف لعبت الحيرة بعقولهم؟ فمن داع يدعو الناس إلى الطبيعة، ومن باحث يفكر في خلق مجتمع جديد، هذا ينحى على الدين، وهذا يسب الحياة ويلعن الوجود، وذلك تهوله فوضى الأخلاق، فيحسبها ضربة لازب، لا تنصلح ولا تتبدل، فيقوم في جنون الدهشة والذهول يحسن للناس التهتك والإباحة، أرأيت كيف استحكمت السامة بشاتوبريان زعيم الأدب في تلك الفترة، فجعل يقول: «لقد سئمت الحياة حتى قتلتني السامة، فلا شيء مما يحفل به الناس يعنيني، ولو أنني كنت راعياً أو ملكاً، لما عرفت كيف أصنع بعضا الراعي، أو بتاج الملك، وما أظنني في الحاليتين إلا كنت زاهداً في المجد والعبقرية، ملولاً من العمل والبطالة، متبرماً بالنعمة والشقاء؛ لقد أمضني الناس في أوروبة، وأسأمتني

الطبيعة في أميركا، فليس في هذه ولا في تلك ملاذٌ يهش إليه قلبي، وإنني لسليم القلب، طيب النحيزة، ولكن بغير غبطة، وإخالني لو خلقت مجرمًا لكنت أكون كذلك بغير ندم، فليتني لم أُولد! ليت أن اسمي يعفي عليه النسيان فلا يُذكر أبدًا...»

وبعد، فهل ينبغي أن يحمّد الناس كل زمان وأه، وهل ثمَّ ضرر عليهم في الشكوى من بعض الأزمنة، والنقمة عليها؟ كلا، ليس في الاستياء من الزمن السيئ ضرر، بل هذا هو الواجب الذي لا ينبغي سواه، وأولى أن يكون الضرر جد الضرر في الاطمئنان إلى زمان تتأهب كل بواطنه للتحوّل والانتقال.

وما أهونَ التعليلَ السلبي! لقد سهل على بعض الكاتبين أن يعللوا هذا التذمر فحسبوا أنهم أدركوا الغاية، وأصابوا النتيجة.

نظروا إلى السخط الفاشي بين طبقات الناس، فلم يصعب عليهم أن يقولوا: إنه عرض من أعراض الحياة في المدن والحوضر، وهذا صحيح، وأي عجب في ذلك؟ إنما لحكمة كانت المدن مثار القلق والشكوى؛ لأن المدينة ربيّة المدنية، وحاملة أمانة الرقي الإنساني، ولئن كان التجاج الأصوات بالشكوى في هذه الأيام أشد وأجهز منه في الأيام القديمة؛ فذلك لأن الانتقال الوشيك أعظم من كل انتقال أحدثته الحياة المدنية إلى يومنا هذا.

ولو كان الناس كلهم على شاكلة الريفي في سكينته وقنوعه؛ لما بقي لهم بعد أن يفيض الماء، ويسلم الجو، وينجب الزرع مطلب في الحياة، وما برح أهل المدن بأيديهم زمام العلم والصناعة والفنون، والكفاح يدفعهم إلى الحركة وطلب الانتقال؛ فتتقدم على أيديهم هذه الفنون وتنشأ من تقلبهم المذاهب الاجتماعية المختلفة؛ فترتقي حقوق الناس وواجباتهم، وترتقي الحياة تبعًا لارتقاء هذه الحقوق والواجبات، وقد صدق «لاندور» حيث يقول على لسان بارو: «إن القانعين يجلسون ساكنين في أماكنهم، وأما الساخطون الناقمون فهم الذين يجني منهم العالم كل خير.»

ونظر أولئك الكُتّاب هذه النظرة إلى رجال العبقريّة في الأزمان المتأخرة، فوجدوهم لا يسلم أحدهم من علة في الجسم، فظنوا أنهم قد وقعوا على السر، وقالوا: لو لم يكن هؤلاء العبقريون مرضى لما عمت فلسفة السخط، كأنه ليس بين هذا العصر وبين أن يكون أقدم العصور أخلاقًا، وأرغدها عيشًا، وأتمها نظامًا، إلا أن يبرأ مائة رجل أو أكثر، أو أقل، من الداء!

بل لقد طاش بعضهم، فسمى عبقريّة هؤلاء العظماء مسحًا راقيًا، وألحقهم بالمسوخين من زمني الطبائع، ومرضى النفوس، الذين يخرج من بينهم القتلّة والسرقة

والمخبولون، ولو أنهم كانوا ألحن للغة الطبيعية، لعرفوا أنها لا تجمع بين المرض والعبقريّة عبثاً، وأن عظماء الأمم لو سلموا من الأدوية والعلل لوقفت الإنسانية اليوم عند حدود الآجام والكهوف.

ونحمد الله على أن ليست عقول هؤلاء الكُتّاب في رأس الطبيعة! فكانت تبدلنا من كل نبي وحكيم وشاعر مصارعاً مضبور الخلق، عريض العنق، ولا ريب أن هذا العمل أريح لها من عناء تركيب الأمزجة، وتقسيم المواهب على قدر وحساب.

العبقري رجل أُريدَ به أن ينسى نفسه ليخلص نفعه لنوعه، فلو أنه خلق ممكن المرة، قوي الأسر، لصرفته دواعي اللحم والدم عن المضي لوجهته، ولشغله ما يشغل سائر الناس من أمور المعاش والأبناء عما خُلق لأجله، ولا بد أن تضعف غريزة حفظ الذات فيه لتقوى بإزائها غريزته النوعية، ولن تضعف الغريزة الذاتية إلا بمرض في الجسد؛ أرايت رجلاً معافى البدن ينسى نفسه ليعيش بعد موته في ذاكرة نوعه؟ أم أنت تراه قاصر الهم على حياته لا يعنيه من الدنيا سواها؟

وللنوع فرض عام يطلبه من جميع أفرادها، وهو التكاثر بالتوالد، بيد أنه كلما سفل النوع وسفل الفرد، كان التوالد أكثر، ويطرده هذا الأمر في الإنسان؛ فإن أكثر الناس توالداً هم أعجزهم عن حفظ النوع بغير وسيلة التوالد، وهم أحط الناس مدارك وعقولاً، ثم ينشأ في بعض الأفراد قوى أدبية ينفعون بها النوع، ويحفظونه من جهات شتى، فتعدو هذه القوى على غريزة النسل، حتى يبلغ الأمر نهايته في النابغة، فيكون أنفع الناس لنوعه بقواه الأدبية، وأقلهم نفعاً له بنسله؛ ولذلك لا يرغب النابغون في الزواج، وإن تزوجوا لا يلدون، وربما وُلد لهم، ولكن لا يعيش أبناؤهم، أو يعيشون ولكنهم يهملون في الغالب تربيتهم وإنباتهم، وتلك لعمري حكمة بالغة، وسر دقيق من أسرار الاقتصاد الطبيعي في تقسيم العمل.

إن كان للأمة جهاز عصبي، فإن الشاعر العبقري أدق هذه الأعصاب نسجاً، وأسرعها للمس تنبهاً، ولا غنى لجسم الأمة عن هذه الأعصاب المفرطة في الإحساس، لترعج الأمة لأخذ الحيلة بينما تجمد الأعصاب الصلبة في صمم البلادة والأنانية.

فلا ينظرن الذين ينفقون فلسفة الرضى عندنا إلى المسألة من جهة واحدة، ولا يقولن نحن في عصر العمل، فزخرفوا لنا الحياة وشوقونا إليها، كلا! لسنا يا قوم في عصر العمل، فكم من عمل يدعو العاملين ولا يجيبونه! وكم من عامل يفتأ يدعو العمل فلا يجيبه! بل نحن في عصر التردد والاستياء، ولا بد لهذا الاستياء أن يأخذ مداه، ويطلع على

كل نقص في أحوالنا، حتى إذا تمكن من النفوس فحركها إلى العمل، وعاد عليها العمل بالرّضى، فلا ينسّ الناس يومئذٍ فضل شعر الضجر والاستياء.

فلئن توسم القارئون في شعر هذا الديوان هذه السمة، فليذكروا أنهم يقرءون ديوان شاعر يترجم عن زمنه «والمرء في نفسه يرى زمنه» كما يقول.

ويُخيل إليّ أن أicana إبراهيم لو لم ينبغ في هذا العصر السوداوي، ونبغ في عصر فجر التاريخ، لكان هو واضع أسماء الجنة، عمار الغيران والجبال، وساقّة السحب والرياح والأمواج، فإن به لولعاً بوصفها، وإن أذنه لتتسمّعها كأنها تنشد عندها خبراً، وأظنه لو كان خلق الدنيا، لما خلقها إلا جبالاً عظيمة، وكهوفاً جوفاء، ورياحاً مدوية، وغماماً مرزماً رجاساً، وبحراً مصطخناً عجاًباً، انظر كيف يصف الغار الذي يتمناه في قصيدة مناجاة المهاجر:

يا ليت لي والأمني إن تكن خدعاً	لكنهن على الأشجان أعوان
غاراً على جبل تجري الرياح به	حيرى يزافرها حيران لهفان
هل أنس ليلتنا والغيث منسكب	وللبروق بقلب السحب أثخان
وقوله لي من لي أن تظللني	من السحاب على الأطواد غيران
ريح تهب لنا من كل ناحية	وديمة كحلها نور ونيران
يلفنا الليل في طيات حندسه	كما يُغَيِّب سرَّ المرء كتمان
نكاد نلمس بالأيدي السماء ونجـ	تلي بها الرعد يطغى وهو غضبان
وللصدى حولنا حال مروعة	كأنما تسكن الغيران جنان
لكل صوت صدئ من كل منعطف	كما تجاوب عساس وأعيان
يطير كل صدئ عن كل شاهقة	كما يطير عن العقبان عقبان
تبدو لأعيننا البلدان كالحة	كالوجه غضنه سن وحدثان

ومثله قوله في أحلام الموتى:

أجنوني إذا ما مت رمسا	ينادمني به خضل الغمام
ترقرق عنده غدران ماء	على ضفاتها أثر الهوامي
تغنيني الحمام في ذراها	وقد هب النسيم مع الظلام

أو قوله في ثورة النفس:

أبيت كأن القلب كهف مهدم برأس منيف فيه للريح ملعب
أو اني في بحر الحوادث صخرة تناطحها الأمواج وهي تقلب

أو قوله من قصيدة أحلام اليقظة:

إني سمعت في الدجى اصطخابا
كأن في إهابه ذئابا
سيمت أدنى فطلبت وثابا
مستهولاً ينتزع الصوابا
يهتك من فؤادك الحجابا
مثل الصدى قد عمر الخرابا

أو قوله في مناجاة الملاح:

القلب يمْ لا قرار له جم العواصف مزبد القنن

أو قوله من قصيدته الرهيبة «ثورة النفس في سكونها»:

وما لي كأني ظللتني سحابة لها من مخوفات الأساود هيدب
وليل كأن الريح فيه نوائح على أنجم قد غالها منه غيهب
تجاوبها من جانب اليم لجة تزاءر فيها موجهًا المتوثب
كأن شياطين الدجى في إهابه تغني على زمر الرياح وتغرب

إلى أن يقول:

سأصرخ أما هاجت الريح صرخة تقول لها الموتى ألا أين نهرب

واقراً له الدار المهجورة، أو فتى في سياق الموت، أو الحياة حلم، تحس في كل منها
هذه الروعة والفخامة.

وللمازني أسلوب خاص، لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذي تجده بين قلمه ونفسه، فإن قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ، والروعة في حوك الشعر، كما تتحرى نفسه — على لطافتها — الفخامة في المشاهد، والروعة في مظاهر الكون والطبيعة.

والتآلف بين الطبع والتعبير شأن كل شعر في هذا الديوان، اقرأ فيه بعد شعر الوصف الذي تقدم التمثيل له شعر الغزل، فإنك ترى عبارته أليق ما عبّر به عن عاطفته؛ لأنها عاطفة لا تسعر بالوقود من الخارج، وليس الحب فيها حباً تضرمه عين المحبوب كما تضرمه نفس المحب، وهي عاطفة تحيا بغذاء من حرارتها، ومثل هذه العاطفة يحلو لها ترديد نفسها، وتقليب وجوه ماضيها وحاضرها، وأهواء النفس تختار الأسلوب الذي يلائمها، فلو أن الحب هنا حب تأخذ منه البواعث وتعطي لكان نعامه إذا امتلأ به الصدر أن يصعد من القلب صرخة تفرج عن صاحبها ثم ينساها، ولا يعود إليها حتى يراجعها الوله والوجد، ولكن حب يطاول القلب، ويدور في جوانب النفس، فلا يوافقه إلا أسلوب يدور في الأذن، ويطن في جوانب الأسماع.

فلا غرو أن ينسجم هذا الهندام على ذلك القوام، وأن يستشف القارئ ألوان العواطف من هذا الأسلوب، على أحكام نسجه وتفصيله، فيعلم أن شعر الطبع والإخلاص غير شعر الصنعة والتقليد.

الإهداء

إلى الذي نام عن ليلي وأسهرني
ومن أكاظمه وجدي وأوهمه
ومن غذائي ذكره وإن بعدت
أذكيت في الصدر نارًا لا خمود لها
هدية لك فيها الفضل أجمعه

ومن إليه على الأيام تحناني
أن اقترابي وبُعدي عنه سيان
أوطانه ونأت بي عنه أوطاني
فاقبس ثوائر أنفاسي وأشجاني
وليس لي غير إنصافي وعرفاني

إبراهيم عبد القادر المازني

الورد

بل كلا الحسنين فتان	خده أحسن أم ثغره
لفنون الحسن بستان	كل جزء من بدائعہ
ومن الأطيار ندمان	لي كنؤس من مراشفه
خِلت أن الورد خجلان	كلما قبَّلت وجنته
كيف ريِّي وهو ظمآن	ظمئي ترويه قبلته
فكأن الطل غيران	رُبَّ طلُّ بات يكلؤه
منه ريح الطيب نشوان	وكأن الورد إذ سطعت
ما لهذا الورد جثمان	أنا أخشى أن أراعيه
وهي للأعين ميدان	كيف لا تذوى غلالته

الماضي

مسافة الشمس دون أقربه
القلب قبرٌ وأنتَ ساكنه
ما مرَّ يومٌ بما يصرفه
أو راقنا ثوبه ونضرته
آليتُ لا يستخفني أملٌ
الدهر لولا الآمال مشتبهٌ
وإن دعونا أعارنا أذنه
لا يبرح القبرَ ميتٌ سكنه
إلا جعلناك فيه ممتحنه
إلا رأينا في ثوبه كفنه
في الغد أو تسغرني حسنه
والمرء في نفسه يرى زمنه

الدار المهجورة

لم يدع منه البلى إلا كما تترك التسعون من غصن الشباب

* * *

وهي في سكونها كأنما
فارقتها روحها إلا ذما
حكم الدهرُ بها فاحتكما
وكساها الهجر ثوبًا مظلمًا ما أضل الطرف في هذا الإهاب

* * *

ما ترى العين بها إلا رماما
باليات تملأ النفس ظلاما
وسعتها الريح دفعا ولطاما
لغط اليمم إذا اليمم طما والتقت فيه هضابٌ بهضاب

* * *

ليس يلقى عندها الصوتُ قرارا
كلما أرسلته ملّ الجوارا
واستردّ المرء منها ما أعارا
تثب الأصداء عنها مثلما طارت العقبان طيرا عن عقاب

* * *

إيه يا مهد مسرّات الصبا
عجباً أصبحت قبراً عجباً
حاملاً عن هاجريك الوصبا
كنت للهو فقد صرت وما أنت إلا طيف أيام عذاب

* * *

أوصدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلى
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا
إن للدار علينا زمماً وقبيحُ خونها بعد الخراب

الجمال إذا هوى

يا ليتني لو يصح لي أملُ
أبيت لا مرهقًا ولا قلق الـ
ولا فؤادي كالوكر مضطربا
كم نعم قد أصارها نقمًا
بذلتُ ودِّي لغير صائنه
يا حسرةً للجمال يسلبه
بيناه كالزهر مونقُ أرج
بيناه كالشمس في جلالتها
إذا بها قد خبت لها شعلُ
وإنما الحسن إن هوى جدُّ
إن راق عينيك روضة أنف

أعمى له من كفافه شغلُ
أحشاء مما تحرَّك الغلل
تجني عليه بلحظها المقل
على الليالي الخطوب والعلل
أين رمانى العثار والزلل
روعتَه مصرعُ له جلل
إذاه كالشوك حظه العطل
تضيء ما حولها وتشتعل
أخلق من نور نارها الطفل
عليه زهر من الندى خضل
منه لقد راع قلبك الثكل

الإخوان

أضاعوه وكم هزلوا بجدي
على ثقة فعدت أذمٌ وخدي
نأوا عني قطعت حبال ودي
وغمدي فالحسام بغير غمد
بمن يدري أذمُّوا العيش بعدي
أكتم لوعتي في الشوق جهدي
وروى وبل غاديتيه خدي
كحسن القد في أسمال برد
وهجعة سلوة وقيام وجد
ليعجبني عن المخفار بعدي
فإن الجود بالتوديع ردي
ولست على تملُّقهم بجلد

سل الخلاء ما صنعوا بعدي
ركبت إليهم ظهر الأمانِي
وصلت بحبلهم حبلِي فلما
وكانوا حليتي فعطلت منها
أذم العيش بعدهم ومن لي
وما راجعت صبري غير أني
ولو أطلقت شوقي بلّ نحري
جفاء في مطاويه حفاظ
وكم من نزوة للقلب عندي
على أني وإن أطرب لقرب
إذا ما ضن بالتسليم قوم
لكل في احتمال الناس طبع

* * *

خلاه الذمُّ إذ جدنا بحمد
فرنق بالسفاهة ماء وردي
قوارص شر ما يحبو ويهدي
ليشفع للمسيء الودُّ عندي
فقد سبقت يداي له برفد

وغرّ ماضغ بالغيب لحمي
صفوت له على العلات دهرًا
وكنّت إذا هتفت به أتتني
وإنني حين تغشاني أذاة
فإن يسبق إلى كفر وظلم

ظلمتك أن تخذتك لي ولياً	ولو أنصفتُ كان سواك قصدي
غروراً كان ما وعدتُ ظنوني	وأشقى الناس مغرور بوعدي
أبغضبه السكوت وقد سكتنا	ولو قلنا لما أرضاه نقدي
وجهلٌ بيّن في غير شاكٍ	تعرّضه لشاك مستعد
مضى زمن التسامح والتغاضي	وذا زمن الترامي والتحدي
لئن أعلى خسيستهم سكوتي	فسوف يحطها بدئي وعودي
وإن أثمر لهم ذمّاً كثيراً	فهم غرسوا بذور الذم عندي

فتى في سياق الموت

نعد أنفاسه ونحسبها
إذا خروج الحياة أجهده
صدر كصدر الخضم مضطرب
إن قام ملنا له بمسمعنا
يرتاع من طول نومه الأمل
كأنما الخوف من تردده
خلناه قد مات وهو في سنة
قد قلصت ثغره منيته

والليل فيه الظلام يلتطم
تساقطت عن جبينه الديم
جحافل الموت فيه تزدهم
أو نام خفت بوطئنا القدم
ويشتكيه الرخاء والسأم
خيلاً لها من رجائنا لجم
ونائم الجفن وهو مخترم
كأنه للحمام يبتسم

المناجاة

ست رمانى بحبّه وتولى
من عبدنا فى حسنه الله جلا
لنرى فىك آيّه تتجلى
حبّ فهلا أصلحت منى هلا
رُوح فىنا كالروض جيد وطلا
أو معاذ وجلّ ذاك وقلا
موضعا لست فيه جنبى حلا
أنت إن تُتبع القطيعة وصلا
قد تقصّصت وما شفت لى غلا
أجد الدهرَ ما يثقل رجلا
ئر أم كيف عذره حين زلا
هل صبرى وأذنت أن تظلا
داد إلا على المؤمل بخلا
فى حمى ظلك الورىف وأحلى
ر إذا ما الحبيب لم يك سهلا
ق وما إن أخال إلا مبلّا
لمت أنى رعىّ عهدًا وإلا
أنت تأبى الحفاظَ ظلماً ودلاً

إن وجهها رأيتّه ليلة السبـ
عجبُ كيف يرتضى البعد عنا
هل حباك الإله بالحسن إلا
أنت أفسدتنى وعلمتني الحـ
نظرة منك لو رحمت تعيد الـ
مالنا غير ذلك الصد مأوى
لم أكن أحسب الزمان يرينى
أجدرُ الناس بانعطاف وأولى
بَعْدَ العهد غير ذكرى ليالٍ
وقفة العيش بغيتى غير أنى
ليت شعري ما حجة الزمن الجا
ثقلت وطأة البعاد على كا
أتأناك كى ترقّ وما تز
كان خيراً من السهاد رقادي
غير أنى فى الحب أقنع بالذكـ
إن لى مهجة يصدّعها الشو
لم تلمنى أنى هويتك لكن
لست تأبى علىّ حبّيك لكن

بأبي أنت مغضباً ولعمري ما أقلَّ الفداء مني وأغلى
لكم الدلُّ والتجنِّي علينا وعلينا الحفاظُ أحسنت أم لا

* * *

ليت شعري متى تشق بنا النيد لَ جوارٍ ويا عسى ولعلَّا
مَحْقَبًا خمرَةً لنطرب كالبحر ر وتغدو لصحبة البحر أهلاً
أي شيء ألهاك عن مركب النيد ل وقد كنت لا تني عنه قبلاً
ما برحنا نرجو قدومك حتى قد مللنا خلف الرجاء وملاً
إن لي مجلساً على النيل فياً حاً فألاً وافيتني فيه ألا
متعة العين من ملاحه مرأى ومنى النفس من صباحة مجلى
حيث لا نرهب الزمان ولا نر قب سحاً من الملام ووبلاً
وهي الراح لا نشعشع منها وعليَّ الإكثار نهلاً وعلاً
نقطع الليل في احتساء شراب ليس أنفى لله مني وأجلى
بين أقداحنا حديثٌ هو السح ر يناجيك فيه قلب تملئ
ليس تستعذب المدامة إلا بنديمٍ أرقَّ منها وأحلى
صاحبٌ مؤنسٌ وكأسٌ دهاق ذاك حسبي لو يجمل الدهر فعلاً
هل أرى نجحَ ما وعدنَ ظنوني أم ترى باعها يعود أشلاً
لستُ بالملحِ الملح ولا بال طامع العين إن وهبت الأقلاً
إن تجودوا سحبتُ ذيلًا رفلاً أو تضنوا فلسْتُ أعدم خلاً

أحلام الموتى

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندي محمود العقاد قصيدة بهذا العنوان يقول في مطلعها:

ستغرب شمسُ هذا العمر يوماً
فهل يسري إلى قبري خيالٌ
ويمسي طيفٌ من أهوى سميري
ويغمض ناظري ليلُ الحمام
من الدنيا وأنباء الأنام
ويؤنس وحشتي ترجيع هام

فأجبناه بهذه الأبيات:

لهان عليّ أن ألقى حمامي
إذا ما الليل نام رأيتُ قلبي
وما طاف الكرى بالعين إلا
وفي ظلم القبور لنا مجير
أجنوني إذا ما متُّ رمساً
ترقرق عنده غدران ماءٍ
تغنيني الحمام في ذراها
تذكرني ليالينا وكانت
وما إن أرتجي شيئاً ولكن
إذا ما الموت رنق في جفوني
فما يغني خيالٌ من حبيب
وكيف يصد عنك وأنت حيٌّ
وأطوى تحت طيات الرغام
كلوءاً مطعماً مرَّ الفطام
ليفتحها على الكرب العظام
يجلّي وحشة العيش الجهام
ينادمني به خضل الغمام
على ضفاتها أثر الهوامي
وقد هب النسيم مع الظلام
مسلسلة البشاشة في نظام
هي الأحلام عونُ ذوي السقام
وبات بكفه يوماً زمامي
يزورك بالتحية والسلام
ويمسي واصلاً لك في الرجام

أمانى و ذكر

مفارق وإن قصر يوم به العين تقرر يغض من لفح الذكر من مسمع ومن نظر يكاد يهمني ويدر أمن حياء وخفر؟ أنساكها يوم خصر تأخذ منا وتذر سمع وتمضي بالبصر للراح أيام آخر معاونًا على الفكر	يا حبذا أمسي من ما في الخوالي غيره نسيمه إذا جرى قضيت فيه وطرا والأفق داج مدجن والشمس تزوي وجهها كم ليلة صيفية وحبذا القهوة لا ما خير راح تقرر الـ ضل لعمرى المحتسى أيام لا يلقي الفتى
---	--

* * *

منى فمن لي بالظفر على الليالي فغفر تروق حسنا من نظر مبتسما إلى الغدر فاوح شعري من سحر أصيح في ضوء القمر	يا يوم جددت لنا وكان جرحي قد أوى يا ليت جبي وردة يومض فيها طلها تفاوح الغيث كما وليتني حمامة
--	---

أبكي إذا ألوت بها	هوج الرياح والمطر
أبكي وأستبكي لها	بمعزلٍ عن البشر
حتى إذا عاد الربيع	ع واكتسى الروض الحبر
غنَّيتها مؤهلاً	مرحّباً بين الشجر
أو ليتني لؤلؤة الـ	طل عليها في السحر
أنعمُ فيها ليلتي	بطيب ذاك المختبر
حتى إذا الصبح جلا الـ	ظلام عنا وحسر
ركبتُ متن الرياح أر	جو كرة لما غبر

ثورة النفس

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندي شكري قصيدة بهذا العنوان من القافية المزدوجة قال فيها:

هياج كما هاجت قطاة تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما في سكون الليل يا نفس واعظُ أما في سكون الروض ملهى ومطرب

فأجبناه بهذه القصيدة:

أخا ثقتي كم ثارت النفس ثورة تكلفني ما لا أطيق من المض
وهل أنا إلا رب صدر إذا غلا شعرت بمثل السهم من شدة النبض

* * *

لبست رداء الدهر عشرين حجةً وثننتين يا شوقي إلى خلع ذا البرد
عزوفًا عن الدنيا ومن لم يجد بها مرادًا لآمال تعلل بالزهد

* * *

تراغمني الأحداث حتى كأنني وجدت على كره من الحدثان
فلا هي تصمي القلب منها إذا رمت ولا ترعوي يومًا عن الشنآن
أبيت كأن القلب كهفٌ مهدمٌ برأس منيف فيه للريح ملعب
أو أني في بحر الحوادث صخرةً تناطحها الأمواج وهي تقلب

* * *

أدور بعين حَيْرَ العيشُ لحظها وأرجعها محمَرَّة كالشقائق
كَأَنَّ فؤادي بين سَجْوٍ وترحةٍ أديمُ تفرَّيه أَكْفُ الحوالق

* * *

أَكُنْ غليلي في فؤادي ولا أرى سبيلاً إلى إطفاء حرٍّ جوى الصدر
أعالج نفساً أكبرُ الظن أنها ستذهب أنفاساً حراراً على الدهر

* * *

إذا اغتمضت عيناى فالقلب ساهرٌ يظلُّ طويلَ الليل يرمى ويرصد
وما إن تنام العين لكنَّ إخالها تدير بقلبي نظرةً حين أرقد

* * *

وهل نافعى أن الرياض حلَّةٌ منوَّرة النوار هادئةً الطير
وما فرحى أن الرياح رواقدٌ إذا كنت سهران الفؤاد مدى الدهر

* * *

نسيمٌ يردُّ النفس حيناً لناشق وأيُّ أوام بعده وأوار
تطول ظلالُ النبت والشمس طفلةً فإن هي جدَّت صرن جد قصار

* * *

سأقضي حياتي ثائرَ النفس هائجاً ومن أين لي عن ذاك معدى ومذهبُ
على قدر إحساس الرجال شقاؤهم وللسعد جوٌّ بالبلادة مشرب

* * *

خليلي مهلاً بارك الله فيكما فما في سكون الليل مسلاةً واجد
إذا ثار ما بين الحجابين والحشا فكلُّ سكون يستثير رواقدي

* * *

وإن سكنت نفسي فليس بضائري رياحٌ تجر الذيلَ حولي وتعصف
فليس يضير الحوت في البحر أنه يهيج وأن الموج يطغى ويعنف

ليلة وداع

ودعته والليل يخفرنا
والماء يجري في تدفقه
والدلُّ ينهاه تمنُّعه
ولربَّ خدٍّ بتُّ ألثمه
والورد أقطفه لوجنته
لما رأيت الليل زایلنا
طأطأتُ لا أرنو لرونقه
والبدر يرمقني ويرمقه
ويكاد ماء العين يسبقه
والحب يأمره ترفُّقه
والدمع يطفئ ما أحرَّقه
والشوك في قلبي مُفوقه
وأذاع سرَّ الصبح مشرقه
فالحسن يطغي الصبَّ رونقه

رقية حسناء

وانس برح الهموم والأشجان
ر ودمع يجري بغير عنان
رَ بعينٍ قريرة الإنسان
ضٌ وروحي وريفة الأفنان
ه حناناً فانشقُ نسيم الحنان
حر يجري الحياة في الأبدان
زهر من صيب الحيا الهتان
وجنانٌ من منظري الأضحيان
ماع منثورَ مفرحات الأمان
سِ بعرف الرياحان والأقحوان
ر فيجلو مخيم الأدجان
مرء يختال في شباب ثان

نم هنيئاً في ظليّ الفينان
وانس ما كان من زفير على الهجـ
وانظر العيش في منامك والدهـ
هذه راحتي على وجهك الغـ
وفؤادي مرفرف بجناحيـ
وبناني مخضبٌ كعصا السا
لك من أدمعي حياةً كما للـ
ورياضٌ من حسن وجهي حوالـ
وأغانٍ خرّساء ترصف في الأسـ
ونسيم لنا يهبُّ على النفـ
وضياء يشيع في ساحة الصد
ويردُّ الشاب حتى كأن الـ

الوردة الذابلة

أرج كأنفاس الحبيب	سبة حين تُدني منك فاها
وغلائلُ بات الغما	مُ يجودها حتى رواها
ذبلتُ وأخلق حسنها	يا ليت شعري ما دهاها
روَّيتها بمدامعي	لو كان يحييها حياها
وضممتها ضم الحبيب	ب عسى يعود لها صباها
وزفرتُ علَّ زوافري	تجدي فزادت في ذواها
فرميتها وبرغم أنـ	ففي أنني مَن قد رماها
ولو استطعتُ حنيت أضـ	للاعي على ذاوي سناها

لحظ الحبيب

ما أفصحَ اللحظَ يا حبيبي
ما الشاعرَ الفحلُ حرَّكته
أخْلَبَ لي منطقًا وأحلى
لحظُ يضيءُ الذي توارى
له ضياءٌ إذا ترامى
أعارها نوره فعادت
يا قرّة العين أنت حسبي
لولاك لم أحتمل حياتي
وددت لو تنفع الأمانى
وليتني صيدحُ يغني
كن لي فإنني إذا استهلّت
لينبتُ الورد والأقاحي
وإنما سجة القماري
وأعذبَ البثَّ بالعيونِ
على النوى هزّة الحنين
من نظرة الطرف في سكون
في ظلمة الغابر الدفين
على النجيات والشجون
تندى على مهديّ الحزين
لولاك ما أثمرتُ غصوني
ولم أطق صفقة الغبين
لو كنتَ لدنا من الغصون
في ظلك الوارف الأمين
على الثرى ديمة الشئون
وضّاحة الثغر والجبين
في الليل ترجيعه الأنين

بعد الموت

ويعتادهم فيها كشوق المسافر
إذا انتزعتها منه أيدي المقادر
كعهدي به والنوم ملء المحاجر
وأملأ قلبي منه بعد النواظر
ويصبو إلى سحر العيون الزواهر
وأيام وصل الأنسات الغرائر
وجلّله وجد الحسان النوافر
يعالج إمام الخيال المزاور
إذا غاله سهم المنايا الجوائر
ويبكي حجور المحصنات الحرائر
بما كان يلقي في الليالي الغواير
وبالفقر والإملاق في كل آخر
ينفّسها قلب جريح الضمائر
وقوّسه عبء السنين المواقر
ومؤنسه في العيش سود الخواطر
سوى حسرات أردفت بزوافر
ولكنّه عن عشّه غير طائر
وصرت كمن بادوا رهين حفائر

ترى يذكر الأحياء أهل المقابر
وهل تظمأ الأمّ العطوف إلى ابنها
تقول ألا يا ليت له لصق أضلعي
أضم إلى صدري حشاشة نفسه
وهل يحمل الصبّ المشوق ولوعه
ويذكر أيام القطيعة والنوى
فإن جشأت في صدره غصص الجوى
بكى شجوه في ظلمة القبر وانثنى
وما حال طفل ضامر ظامئ الحشا
أيذكر ثدي الأمّ في كل لحظة
وهل يحلم المفلوك في رقدة الردى
فيحلم بالإيسار طورًا وبالغنى
وهل يسع الملحود ريعان زفرة
على هرم همّ برى الدهر عظمه
قراه أسّى قد ضاق عنه احتماله
وتحسبه مما تقيّد دمية
وتحسبه مما تقوّس طائرًا
ستخبرني نفسي إذا حان حينها

لفظ الحبيب

لذيذُ إذا درَّ قطرُ الرهام
هبوبُ النسيم بعرف الرياض
لذيذُ تحدر ماء الغدير
لذيذُ دبيب الكرى في الجفون
ولكنَّ لفظك من ذاك أحلى
أظلُّ إذا استكَّ في مسمعي
كأن فؤادي مسحورة
تعانقها نفحات النسيم
شفاه يؤججن أنفاسه
تمهل ألفاظه علَّها
وتقرع أذني فتحتاجني
إذا قيدَ الهم خطو الرجا

وأضمرت البدر سجفُ الغمام
يرقرقه في حواشي الظلام
وقد أنطق الليل خرس الحمام
بعد الكلال وطول القيام
وأوقع في قلبي المستهام
يرف عليَّ جناح الغرام
من الفلك في موجه المتسامي
ويرقصها زجلُ ذو التطام
ويلثمن ألفاظهنَّ الظوامي
تبرد في فيه حر الأوام
كأن لها نشوات المدام
أطلقه لي سحر الكلام

مناجاة شاعر

لقد بكيت على خرقاء مضياع
دمعاً يراق على رُزءٍ وأوجاع
فما تبالي بإخماس وإشباع
فما رأيت منك إلا غير مجزاع
وراء نجمٍ من الأحلام لمّاع
وكان بالرغم تصديقي لأطماعي
ثغورها عن بديعٍ جدّ خداع
لبي الأمانى بإيماءٍ وتلماع
ضاعت عليك بوايدٍ غير ممرّاع
معنى النداء فضّلوا وجهة الداعي
فقد أجابك قلب السامع الواعي
إذا التوين على قدمٍ وجعجاع
هذي العوالمُ أمر الخالق الراعي

يا شاعر النفس كم أبكاك مصرعها
أسبلت آذني عيني ما تركت لها
أذاك دهرك حتى لست تحفله
واستطعمتك الليالي كلّ حاذقة
إنّا شبيهان في شجوٍ وفي ظلع
كذبتُ نفسي كما كذبتَ بارقها
يسلك صوت المنى سمعي وتومض لي
فأنثني غير مخدوع وكم فتنت
لله صرخة وجدٍ أنت مرسلها
وما بهم صممٌ لكنهم جهلوا
إلا تجبك نفوسٌ لا تعي أبداً
تدعو المعاني فتأتي وهي طائعةٌ
يعنو لك اللفظ والمعنى كما امتثلت

إلى صديق قديم

كان لنا صديق أخلصنا له الولاء، وصدقناه الإخاء، فما زال يوهن من حبلنا، ويفصم من عرى ودنا، حتى انفرجت الحال، ووقعت النبوة، وجرى بيننا كلام، فبعثنا له بهذه القصيدة:

إنما الشتم شيمة السفهاء
قد طوى صدره على الشحناء
مثل داء المنون للأحياء
قد عرفناك فاسد الأهواء
ليس للذئب في الورى من وفاء
ورأيناك أهل هذا الجفاء
وأجاريك مرة في الهجاء
عجز برد الشتاء عن إدفاء
إنَّ ذمَّ الوضيع كالإطراء
أم عليه وقفت كلَّ ثناء
نشأت بين بيئة شنعاء
كل ماء وغار كل حياء
لم يؤثر في أنفوس اللؤماء
عاد كالسيف نابيًا عن مضاء

بعض بغضائكم أولى البغضاء
ليس يشفي السبابُ غلَّ حسود
إن داء القلوب داءٌ عياء
فاستر الضغن إن تشأ أو فجاهر
أنت كالذئب خدنٌ غدر ولؤم
ما رأيناك بالإخاء خليقًا
قد تكلفت أن أعارض طبعي
فرأيت الكريم يعجز عنه
ورأيت الهجاء يرفع منكم
ما يبالي مستهتك نلت منه
لا تغض العيوبُ طرفَ بغْيٍ
كيف يندى جبينٌ من غاض منه
رُبَّ قول لو كان في الصمِّ بضت
ومقال تسوخ منه جبالٌ

نومة نبّهت جيوش البلاء
 رُ ويفري في جوفه كالداء
 رُ ويُنعى بالخدشة النكراء
 رُ ويجري دماءه كالماء
 ظاهر الجذب لابسًا من عفاء
 لهفَ أرضي عليهما وسمائي
 كل غر مماذق في الوفاء
 ر وفي قلبه قطوبُ العدا
 آن ماءً وما به من ماء
 س ضئيل الآمال والأهواء
 وتباهى به على الشرفاء
 والأكاذيب ملجأ الضعفاء
 في مسوك الفرنجة السوداء
 أخذت منه سورة الصهباء
 ح دنيء الأسفاف والكبرياء
 تحته الخزي يا له من مرء
 ثال خلو من الحجا والذكاء
 ولوى شذقه على الخلاء
 ل جموحًا ألقتة في عوصاء
 طان أمرًا فصاح من خيلاء
 ر ثقييل الكلام والإيماء
 يدّعي أنه من الفصحاء
 عم رطب اللسان عذب الأداء
 ر وصوغ الكلام جم العناء
 س جميعًا قريبهم والنائي
 د وأوغلت في شعاب الرياء
 م عديم المثال دون مرء

يا حماة الآداب نمتم طويلاً
 من لستر الحياء يهتكه الغ
 من لوجه الأحساب يخدشه الغ
 ولقلب الأخلاق يطعنه الغ
 ولروض الآداب جف وأمسى
 ذهب الود والحياء جميعاً
 وتبدلت من رجال وفاء
 يتلاقك بالطلاقة والبش
 كالسراب الرقراق يحسبه الظم
 عاجز الرأي والمروءة والنف
 ألف الذل فاستنم إليه
 ينسج الزور والأباطيل نسجاً
 لو تراه بالليل يخطر عجباً
 قلت قرء من آل «دروين» ناش
 مستमित إلى المكاسب والرب
 فاسق يُظهر العفاف ويُخفي
 مظلم الحسّ والبصيرة كالتم
 قد زهاه الشموخ فاختال تيهاً
 وعدا طوره فأركبه الجه
 فغدا كالحمار أوهمه الشيب
 هو حمى الجليس يدفع في الصد
 أعجمي اللسان فه عيي
 يملأ السمع والقلوب كما يز
 يا قطيع اللسان مالك والشع
 أنت في الأرض نقمة الله لنا
 قد لعمرى نكبت عن جد الرُش
 أنت في الزهو والسفاهة واللؤ

لو على قدر بطء حَسِّكَ يومًا كنت كيسيًا ذا أربةٍ وذكاء
لبلغت السنام من قِللِ المَجْدِ سد وجاوزت رتبة الأنبياء
ضَجٌّ من لؤمِ الخلائق في الأرْ ض وعاذوا من شرِّه في السماء
صار إبليسُ عند ربك مقبو لَّا وقد كان قبلُ في الأشقياء
عَشَّش اللؤم في فؤادك وارتا ش فيا رحمة على الأحياء

* * *

لا أقال الإله من خانني الغيب ب وجازى الحفاظ شر جزاء
ظنَّ أني على التحلم ماضٍ فمضى ضلَّةً على الغُلواء
وغلا في الضلال فاشتبه الأمـ ر عليه وبات في عشواء
وأراه الغرورُ أنَّا سواءٌ فتباهى وليس من نظرائي
كيف تعطو وليس عندك نوطٌ وتُسامي وأنت في البوغاء
أسفًا للعقول ضلت وزاغت عن سبيل الهدى ووضح السواء
كنت في ظلِّنا الوريث مقيمًا آمن البال وادع الأحشاء
فاستثرت المنسيَّ من فارط الذنـ ب وأوغرت صدرنا بالبذاء
أنت أسخطتنا عليك فحلنا عنك لَمَّا جهلت وجه الرضاء
أنت وثبتنا عليك وقد كنـ ت موقى في غرَّة ورخاء
أنت ضاغتتنا وخشنت صدرًا كان يحنو عليك في البأساء
أنت قطعت حبل خلِّك بالغد ر وأيبست ثدي هذا الإخاء
أنت ناوأتنا وعلمتنا الثلـ ب فرشنا لكم سهام الهجاء
حزت ذمي وللرياح السوافي مثل ذم التراب والحصباء
لا يغرُّنك ما ترى من أناتي واحتبائي بالحلم والإغضاء
ربما استنزل الحليم عن الرفـ ق وثارت سكينه الحكماء
قد أذقناك حين أصفيتنا الوـ دَ وفاءً أعذب به من وفاء
كان ودِّي مصفَّقًا لم أعكـ ه برنق من القلى والرياء
ولقد أينع الودادُ على الأـ يَّام واستحصفت حبالُ الإخاء
كم ركضنا إلى المسرة واللهـ و برغم الهموم والبرحاء
واغتبقنا الشراب حتى اصطحبنا

دَ ويجني ثمارهُ في الخفاء
 وافترقنا على القلى والجفاء
 ولماضيك عُنفوانُ الثناء
 ت فإن البكا على الأوفياء
 رِ فما كل خلة بسواء
 نَ أرى الرعيَ أعظم الأرزاء
 بصنوف الأكدار والأقذاء
 يوم دائي في البعد منك شفائي
 ءَ وبُعِدْ أفضى إلى السرَّاء
 وان قلبي من لاعج العرواء
 فجررنا عليك ذيلَ العفاء
 م وغصَّ الهوى بماء الهجاء
 ليس يصميه كثرة الإيذاء
 تَ ولا قَرَبْتُكَ بعد التناي
 من تدانيهما على البغضاء
 تَ ودمنا فما لنا من إخاء
 زر فيضَ الدُّجْنَةِ الوطفاء
 دَّهرَ نَمًا ولات حين عزاء
 قد أذابت لفائف الأحشاء
 طال فيه بين الكرام ثوائي
 ب الشَّابَّيب والحجا والذكاء
 ل وذلت طيرورة الضرساء
 ر متين العرى وسيع الفناء
 فبكرهي يكون لا برضائي
 رَدُّني من بلايلي للعرء
 تُ أَلقي النوى بالاستهزاء
 أن تداني أهل السنا والسناء

لم أطع فيك واشيًا يزرع الحَقْف
 ضَمَّنَا عاطفُ المودة دهرًا
 فلك اليوم في المحافل ذمي
 لستُ أبكي على فراقك ما عش
 لن ترى البين فاجعي أبد الدَّه
 كان شأني الحفاظ والرعي فالأ
 فيك أبصرتُ كيف يكدر صفوي
 كنت أرجوك للزمان فأنت الـ
 ربَّ قُرْبِ أفضى إِلَيَّ بضراً
 طبْتُ نفساً عن ذكركم وشفا السلـ
 كنتَ بالذكر بين عيني وقلبي
 قد كبا بيننا الوداد فلا قا
 خلت جهلاً أن الفؤاد هواءً
 لا أرتني الأيام وجهك ما عش
 وتنائي الدارين خيرٌ وأحرى
 قد مضينا كما مضيت وما دمـ
 لن تراني بالباب بابك أستغ
 أقرع السنَّ نادماً وأذم الـ
 علَّ ماء الشئون يطفئ ناراً
 واقفًا أندب اعتدال زمان
 بين أهل اللِّيان والخلق السكـ
 حيث عز الوقارُ والجانب السهـ
 يا خليلي قد صرت جلداً على الهجـ
 ولئن قدَّر الزمانُ اجتماعاً
 بأبي أنت. أنت أولُ إلْفٍ
 كنتُ لا أملك الدموع فقد صر
 حبَّذا أنتَ غير أنك تبغي

إلى صديق قديم

تلك أحلام نائم وأحاديـ	ثُ لمستمسك بحبل الهباء
وغبِّي الأنام من ظن أن الـ	زرعَ يزكو في التربة المظماء
كل ماضيك قد وسعت بحملي	غير ما جئت ليلة الأربعاء
قضي الأمرُ بيننا فسلامٌ	وسقى الله عهدَ ذاك الإخاء

الذكرى

تقبس النارَ وإن طال القدمُ
كم لنا من ليلة مطوية
ربما عاد بها اليومُ وفي
ربما اهتزَّ بها ذاوي المنى
ربَّ صوتٍ نبهت نائمه
بذل الماضي لها طاعته
من ينابيع الزمان المنصرم
نشرتها فكأنا في حلم
وجهه الطلق من الأمس غمم
ولقد توقظ شيطانَ الندم
يسمع السامعُ منه كالنغم
وابتنت دارًا لها بين الرمم

مناجاة حسناء

لا أنسَ منظرها وقد طلعتُ للعين بين خمائل الورد

* * *

والماء يرقصه تدفقه
والبدر أشحبه تأرقه
والليل طفلٌ شاب مفرقه
والغصن مِيَّادٌ وقد عبقت حلُّ النسيم بنفحة الرند

* * *

العين تناجيها
هل تعرف الحسناء وا عجي
لشحوب لون الورد من سبب
وذبول جفن النرجس العجب
وصدودها عنيّ وقد علمت أني ليطرفني قذى الصدّ

* * *

القلب يناجيها
لون الربيع بوجنة الزهر
والرّوض مشرق صفحة البشر
وبحبتني يا أنفـس الذخر
برد الشتاء فهل ترى سمعت عصفَ الهوى وتهزُّم الوجد

قبر الشعر

ليت ديواني يكون له	من بديع الزهر تيجان
فكأن الشعر في جدث	فوقه وردٌ وريحان
يا لها من حفرة عجب	كلُّ ما تطويه أشجان
كل بيت في قرارته	جثَّةُ خرساء مرنان
خارجًا من قلب قائله	مثل ما يزفر بركان

عتاب

وأرى الحفاظ تكلّفًا ورياءً
أصفي الوداد وأتبع الغلواء
أن الوشاة تفرق القرباء
ردًا يكون على المصاب عزاء
تسلي المشوق وتكشف الغمّاء
بين الضلوع يمزق الأحشاء
لفظًا يخفف في النوى البرحاء
حنّ الفؤاد ونفّس الصّعداء
وأجدّ لي ذكر الهوى أهواء
ولّى وألهج بالثنا الشعراء
فيكم كما حبس السحاب الماء
ضحك الجمال بوجهه وأضاء
قلبٌ يشاطرني الوفاء سواء
أبد الزمان تلبّثًا وبقاء

ذهب الوفاء فما أحسّ وفاءً
الذنب لي أني وثقتُ وأنني
أحبابي الأذنين مهلاً واعلموا
إلا يكن عطف فردوا ودنا
إلا يكن عطف فربّ مقالة
إلا يكن عطف فلا تحقر جوّى
هب لي وحسبي منك أن تك فرقة
فإذا ذكرت لياليًا سلفت لنا
دعني أقول إذا النوى عصفت بنا
ما كان أسلس عهده وأرقّه
لا تبخلوا بالبشر وهو سجيّة
لا يحسن التعبيس أبلج واضح
قد كنتُ أمل منك أن سيكون لي
فإذا بكم كالشمس يأبى نورها

مناجاة ملاح

يا قرة العينين يا سكني
بيني وبينك زاخرٌ هزجٌ
لو شئتَ أدنتنا وإن بعدت
تجوى وقد لزتَ بما ركبت
لا تخش أشجاني إذا اعتلجت
القلب يمُّ لا قرار له
لكنَّ في أغواره دررًا
بللٌ غليل المجمع الضمن
تمشي به الأجبال في قرن
طرق الفراق طوائر السفن
فكأنها رأسٌ على بدن
أولستَ تركب هائل الشجن
جمُّ العواصف مزبد القنن
ولألنا أبقى من الزمن

السُّلُو

وعرفت فيك الصبر كيف يبيدُ
تغلي عليَّ ضغائنُ وحقوق
يُومي إليَّ الأصبعُ الممدود
صعبٌ على الطبع الحميَّ شديد
وبناظريك بوارقُ ورعود
أبدًا عليَّ لواؤها معقود
فكأنه مع يومه ملحود
والحسن ليس له كذاك خلود
ريُّ ولا في بعدكم تصريح
ويصد نثرُ عنكم وقصيد
عن حبه شممٌ بنا محمود
للأرض بعد زهابه تجديد
تهمي ويحلو بعده التغريد
قد ددت عنك القلب قبل تذود

أبليت فيك العمر وهو جديدُ
وغدوتُ أجلك في الحياة محسدًا
وتركتني مثلًا شروذًا في الهوى
لي كلُّ يوم منك موقفُ ذلة
وأراك تلقاني ووجهك عابس
مهلاً حبيبي إنَّ فيَّ لعزةً
لا يخدعنك ما ترى من حبنا
إن الهوى كالنار يخمد جمره
ولقد تكون غداً وما في قربكم
ولسوف يطوي اليأس صفحة ذكركم
ما أنت أول من سلوتُ وردني
إن الشتاء وإن تطاول عهده
يمضي بأدمعه التي ما إنَّ تني
فابسط غضوبًا في جبينك إنني

حالة

ثورة النفس في سكونها

وجوّي مسوّد الحواشي مقطب
صحائف بيض للعيون تقلّب
يببت لها الإنسان يطفو ويرسب
كأنّي أدركت الذي كنت أطلب
ولا عطّل الأفلاك خطبُ عصبص
وما انفك صرف الدهر يعطي ويسلب
مراخُ لمن يبغي المراح وملعب
ترى أي ملهى طيب ليس يجنب
وما يطّبيه غير ما بات يندب
فأضجرني منها الأذى والتقلب
ويعجبني سجع الحمام ويطرب
على صفحة الغدران وهي تسبب
أراني كأنّي من دمائي أشرب
لها من مخوفات الأسود هيدب
على أنجم قد غالها منه غيهب
تزاءر فيها موجهها المتوثب

فؤادي من الآمال في العيش مجدّب
تمر بي الأيام وهي كأنها
كأن لم يخط الدهر فيهن أسطرًا
شغلت بماضي العيش عن كل حاضر
وما كلت الأيام من فرط عدوها
وما فتئ المقدار يمضي قضاءه
وما زال ظهر الأرض في جنباته
ولكن قلبًا خالجه همومه
وكيف يسري عنه ملهى ومطرب
لقد كان للدنيا بنفسه حلاوة
وقد كان يصبيني النسيم إذا هفا
ويفتنني نوم الضياء عشية
فما لي سقى الله الشباب وجهله
وما لي كأنّي ظللتني سحابة
وليل كأن الريح فيه نوائج
تجاوبها من جانب اليم لجة

تغني على رمز الرياح وتغرب
له مقلّةٌ عبرى وقلب معذب
ترى أين يرمىك السرى والتغرّب
فهل لك عند الليل ويبك مطلب
وفي شفّتيه رجفة وتذبذب
سيرويه منه عارض متصّيب
فإنّي في ملحودها سأغيب
تحيّة سحب قلبها يتلهب
يحدّرها عطف علينا ويسكب
تراق ولا قلب يرقّ ويحدب
تجدّ به الأشجان طورًا وتلعب
سأستهول الموت الذي بت تخطب
تقول لها الموتى ألا أين نهرب

كأن شياطين الدجى في إهابه
لقيتُ به ذا جنةٍ وتدلّه
فقلت له ويلي عليك ولهفتي
ركبت الدجى والليل أخشن مركب
فقال وفي عينيه لمعُ مروع
ليهنّ تراب ضم حسنك أنه
سقاها وروّاني من المزن سمحة
كفاني إذا ما ضم صدري صدرها
أأنت معيني إن قضيتُ بدمعة
فقلت له ما لي لدى الخطب عبّرة
سكنت فما أدري الفتى كيف يغتدي
ولكنني إن لم تُعنك مدامعي
سأصرخ أمّا هاجت الريح صرخة

ليلة

أشيع أني غرقت فجاءني صديق قديم يبكي ويستفسر عن صحة الخبر.

زارنا واصلاً على غير وعد وانثنى هاجراً على غير ذنب

* * *

قبل يوم الردى بدمع هتون
مع ودلُّ أم أنت جدُّ حزين
ث ولم تكثرث لدمعي السخين
ك ولا وجه حبنا بظنين
ترفُّق بجفنك المحزون
ههلاً منها وفاء دين العيون
فهي حسبي من الزمان الضنين
ب وباحت بودك المكنون
رحج بالزاد ناظرُ المسكين
ما أفاد النعاة هنّي لحيثي
مل والوصل من خليل أمين
وتغضي عن لوعتي وحنيني
ش إذا لم تكن عليه قريني
نك جهلاً وعداً لهذا الفطين
لي جناحاً من رحمة يُؤويني

من غديري من الذي يبكي
لعب ما أرقّت من ذلك الدم
كم بكينا كما بكيت فلم تَر
لم تكن عبّرتي أفيكة أفّا
يا أخوا الحسن والملاحة بالله
أزجر العين عن بكاهها ففيما اند
حسنّت ليلة الخميس وطابت
صرّحت رغبة البعاد عن القر
فوجدنا بك السرور كما يف
كم مُعزّ عنّي ولو كان يدري
عاد نعي النعاة بالفرح الشا
أترك الغداة ترجع للصّد
ابق أنسي فليس يحلو لي العيب
دع مؤاخاة معشر وسعوا حس
إنني عائذٌ بعطفك فاخفض

* * *

عم مساءً، لا بل تمهّل قليلاً	تعست ساعةُ الفراق الطحون
لشجينا بمن يُحيي ويمضي	فارغ القلب لا يُحس شجوني
زدتني فتنةً وليس جميلاً	منك هجرانٌ والهِ مفتون
حاجة النفس كلها ومنى النفس	س جميعاً في سحر هذي الجفون
أتراني ألدُّ شيئاً إذا ما	غبتَ عن ناظري وقلبي الحزين
إنما يحسن المساء ويحلّو	بك فاقعد — أولاً وهذي يميني!
قد ظفرنا من اللقاء بحظٍّ	فاقض حظي من الفراق الشطون
حسبي الله في كفاية ما يع	تادني منك وهو خير معين

هيهات بابل من نجد

أو من سبيل إلى تبريد أنفاسي
وأنثنى وأمامي جد عباس
لكنه العمر وا لهفي ويا ياسي
ولا يجدد ما يبلى من الناس
لم أودع الذم للأيام أطراسي
لا بُرء منها وعافى غير ذي باس
مطرز طرفها بالورد والآس
وفي سمائي نجومٌ هنَّ إيناسي
أو شئت كانت ثغور الورد أكواس
تحنو عليَّ بألوان وأجناس
لكن مرامقة ملأى بإحساسي
بُذلت منه سوى جذب وإيباس
عن العيون ويبيدي شوكة القاسي
منه ولا أورقت أعواد أغراسي
غض التثني منير النور مياس
وراح فيه وقلبي واجد آس
كالعضب مؤثلقاً يهوي إلى الراس
ولا تبالي بإسعادٍ وإنحاس

هل من معين على نجوى ووسواس
أكرُّ طرفي في الماضي فيبسم لي
ليس الذي فات أياماً أعددها
والدهر لا فلتاتُ السعد يرجعها
لو كان في مقبلٍ من مدبرٍ عوض
قضى لي الدهر بلوى في تصرفه
قد كنت أُمِرِح في روضٍ مطارفه
أرضي مفضضة رُبى مذهبهُ
إن شئت غنتني الأطيّار ساجعةً
أو شئت في ظل أغصان مهدلة
ملأت عيني حسناً لا مخالسةً
فالآن قد ذهب العيش الرقيق وما
وأصبح الورد يخفي حر وجنته
عهدٌ تصرّم لم أظفر بمأربتي
ما للحمام يغنّيني على فنن
والروض كيف اكتسى بالوشي محتفلاً
دنيا تغيض من بشري وتبسم لي
هيهات ما تحفل الدنيا بملتفٍ

لن يخلع الروض أبراد الحيا جزعًا
أو يعبس النور من شجو يُهضمّني
إن يسلب الدهر ما أولاه من هبة
أو يشعب الصبر أكبادًا فيذهلها
وكيف أنساهم والقلب يتبعهم
ويكتسي دارس الأفواف للناس
أو يخرس الطير بلبالي ووسواسي
فشيمة الدهر إعراء الفتى الكاسي
عن ذكرنا ففؤادي ليس بالناسي
على جديد لبانات وأداس

استقبال صديق

وفرقه الصب منتهى أربه
بالغدر في جده وفي لعبه
أسرف في كبره وفي غضبه
لم يبق من وصلة إلى سببه
أو قال لم يلتفت إلى خطبه
أحس من ودهم سوى كذبه
من مستهلّ الوفاء منسكبه
أعرف من عودهم سوى خطبه
وا عجب أن يكف عن عجبه
فاض بما لا يجف من نوبه
رجال هذا الزمان أخلق به
ومن أذوق البعاد في قربه
قنوط من برقه ومن صببه
على زمان عريت من قشبه
عني فلج الزمان في حربه
إسراع فيض الغمام في صببه
«شكري» يرد الزمان عن نوبه
تأخذ من عقله ومن أدبه

كيف به والجفاء يبعد به
تالله ما أن ينني يباعدنا
إن يصغ للشوق بعد ذاك فقد
وكيف يرجو البقاء من رجل
إن مر لم يكثرث لخطرته
قد قل من يصدق الوداد فما
أعطشني الناس بعد أن «رويوا»
جفوا كما جفت الحياة فما
ما لي وما للزمان وا عجبي
غاض غدير الوفاء في زمن
ما جو هذا الزمان من أربي
أصحب من لا أود صحبته
لم يبق عندي من الرجاء سوى الـ
وزفرة تحطم الضلوع لها
وحسرة إثر غلمة ذهبوا
يسرع دمعي إذا ذكرتهم
أما فتى صادق الهوى كأخي
أوثق من تصطفي وأكرم من

ديوان المازني

خلائقٌ سهلة موطأة	كالبارد العذب غب منسكبه
كم مجلس الودادُ ثالثنا	والراحُ تجلى كالحق من حجه
ذاك قريبي وليس من رحمي	وهو نسيبي ولستُ من نسبه
إن ضرب الدهر بيننا فلقد	لُفَّ كما كان قبل شملي به

حلم اليقظة

الحياة حُلْم

قبل العيون وأختها كالتوأم
وأصبت معنًى فيه يخطئه العمي
ضحك الندى في ثغرها المتكلم
يقظى اللحاظ جليلة المتوسم
يرشقنني بنواظر المتهمك
لله روعة موجه المتحطم
كخواطر طافت برأس مهوّم
عذب الورود كأنه من مغرم
همس النسيم أو الحيا المترنم
يذر الخليّ رهين شجو مضرّم
والهول يغشى كلّ كهف مظلم
حتى نسيت بشاشة المتبسم
إن السعادة فذّة لم تتنّم
أو كان عيشك غير حلم مبهم
من طيبها حلمٌ بحلم أدوم

وسم الربيع الأرض فهي كأختها
بأبي جلالٍ راعني فنشدته
فطفقت أرمق وردهً فتّانةً
فرايت أني ناظرٌ حسانة
رفعتُ يدًا فإذا الغصون كواعبُ
وإذا بساط الروض لجّ زاخر
وكأنما الورق النضير حمائمٌ
ووجدت صوتًا مثل أنفاس الصبا
صوت من البحر العميق كأنه
عجبًا لمعنى في مطاوي لفظه
يا من تأوبه الهموم حياته
قد طال ما قطّبت وجهك للدُّنا
لا تحسب الزمن النضير براجع
هل كنت دهرك غير طيف حائرٍ
ولهذه الآن التي تزهى بها

ديوان المازني

* * *

ولَّى الظلام وأجفلت أحلامه فرجعت أرمق غضة المتنسم
فإذا مكان الطل دودُ فاتك يا للحياة من الأذى المتحتم

الكتمان

يا وردةً عَرفها جَزيلُ
يستوقد الصدر مجتلاها
آه على حسنِها وآه
وكيف يجدي الإعجابُ صبًّا
لكن حرام على عيون
ألم يخبرك يا حبيبي
بأنني عاشقٌ كتوم
أم تبتغي أن يضيق ذرعي
وليس بدعًا إن استجار الـ
لكنَّ في مقولي إباءٌ
لم يخلق الله «في» لغير الـ

وبتُّ عشاقها طويلُ
والنفس يهتاجها الجميل
لو ينفع الواجد الغليل
والياس في قلبه دخیل
تشهد حسنًا ولا تميل
تهضمُّ الوجه والنحول
يُبطن غير الذي يقول
فیشتكى قلبيَ الحمول
طعين واستوصف العليل
والناس أخلاقهم شمول
زفير فليفرح العذول

النظر

غُضَّ عني بالله طرفك إني
كيف لي أن أقص أمري إذا أنـ
والقوافي إلى الشرود سريعا
وقليلُ أن أكبرتكَ القوافي
إنَّ للبدْر دولة يخضع البحـ
ما عسى طاقة الجليد على الشمـ

ليس لي طاقة بسحر فتوره
ت عقلت اللسان عن تحريره
تُ وللنظم ناثرٌ من مثيره
يا جميلاً بحورها من مطيره
ر ويعنو لحكمها في أموره
س إذا مسه اللظى بسعيه

إلى صديق

وهي أبيات قافيتها غربية

لا تزر إن قضيت قبري ولا تبك	عليه كسائر الأصحاب
خل عنك الوفاء واسمع لداعي الـ	غدر فينا فلات حين وفاء
وقبيح أن تسحب الذيل مختا	لاً وتمشي على رقاب الصحاب
مزعجاً بالسلام روح كريم	أنت غيبته بجوف العراء
قضت منكم الليالي هواناً	ونفضنا أكفنا من غرامك
فدع السحب تسحب الذيل فينا	وتروّي ثرايَ وامض لشانك

الخمير والحب

لا تذرها فإنني غير صاح	ربّ راح شربت من غير راح
كم صريع لم يرشف الكأس يومًا	صرعته كأس الهوى السفاح
فأجزها عن مغرم مستهام	تبلت قلبه عيون الملاح
ما صدفنا عن ودها علم الله	ولسنا لهجرها في ارتياح
غير أنني لثمت ثغر مليح	أين منه مرشف الأقداح
ذا كذوب النضار والتبر لكن	ذاك أروى لغلة الملتاح

وصية

كفّنوني إن مت في ورق الزهـ	ر ورشوا ثراي بالصهباء
واذكروني والوجه منطلق البشـ	ر كأني ما زلت في الأحياء
وإذا ما أديرَت الكأس يومًا	فاشربوا لي من صرف ما في الإناء
إنما يهرب الرجال من الذكـ	ر لما قد يثير في الأحشاء

الخمير والحب

واضحُ سبط القوام	طاف بالراح علينا
وسقانا من غرام	فسقانا من سلاف
خمر مشياً في العظام	وتمشَّى الحب قبل الـ
ورمانا بسقام	فشفى منا سقاماً

إلى عاتب

ما أضعت الهوى ولا خنتك الغيـ
حاربتني الأقدار فأعتب عليها
ما حمدنا ما كان قبل زميما
ليس برحُ الهموم ما رحت تبديـ

سبّ وحاشا لمثلنا أن يخونا
ودهتني وما وجدت معينا
أو رضينا ما كان لا يرضينا
هـ ولكن ما بات فيك دفيـنا

الإسكندرية

لِيَ نَفْسٍ مُّوصُولَةٍ بِكَ مَا عَشَى
هَلْ تَعِيدُ الْأَيَّامَ فِيكَ لِيَالٍ
بَيْنَ نَوْرِ الرَّبِيعِ وَالنَّجَسِ الْغَدِ
وَمَدَامَ لَمْ نَقْذِهَا بِمَزَاجٍ
مَا حَنَنَّا إِلَّا إِلَيْهَا وَلَا هَا
إِنْ تَعَدُّ أَعْتَفَرَ لَدَهْرِي مَا فَا
سُتُ وَكَالنَّجْمِ أَنْتَ مَنْنِي بَعْدَا
سَيِّ وَعِشًّا قَضِيَّتَهُ كَانَ رَغْدَا
ضُ وَبَحْرٍ يَرُوعُ جَزْرًا وَمَدَا
وَنَدِيمٍ يَسْبِيكَ لَعِبًا وَجَدَا
جَ سَوَاهَا لَنَا اذْكَارًا وَوَجَدَا
تَ وَإِلَّا فَقَدْ تَرَى الْحَرَّ جَلْدَا

حلم اليقظة

الحروب

سيل همومي قد طغى عبابا
وجُنَّ حتى ملأ الشعابا
يا ليتني لو تدفع المصابا
ليت وتحلى الصبر المذابا
أدري لداء منهكي طبابا
يبلد الإحساس والألبابا
يفلُّ حد الخطب إن أصابا
ويذهب الأشجان والأوصابا

* * *

إني سمعت في الدجى اصطخابا
كأن في إهابه ذئابا
سيمت أذى فطلبت وثابا
مستهولاً ينتزع الصوابا
يهتك من فؤادك الحجابا
مثل الصدى قد عمر الخرابا

كأن حولي رممًا أسلابا
تفصل في مسامعي خطابا
وخلت أني ناظرُ شبابا
تخالهم على الثرى ثيابا
بيضا وطورا تجتلي ضبابا
منهم يغطي الأفق والرحابا
ويحجب الأطواد والسحابا
تنكره إذا بدا أو غابا
فقمتم أسعى نحوهم مرتابا
منجفلا ومرة وثأبا
يا ليتني لم أبتغ اقترابا
وليتني جانبتهم جنابا
أي قضاء قد مضى غلابا
وأي خطب قد رمى فصابا
وبز هذي الأنفس الصعابا
أرواحها وأولغ الذئابا
في دمعها ووَسَد الترابا
خدودها النواضر الرطابا
وبذر الرءوس والرقابا
ونثل الكبود والعيابا
وفرَّق الخلان والأحابا
وجمع الوحوش والعقابا
يا ويح أيدٍ جنت المصابا
وهاجت السيوف والحرابا
وتخذت من الردى أسبابا
يا ممطرًا على الورى عذابا
وراعيًا جماجمًا صلابا

ومجرّياً دماءها عبابا
وظالمًا لا يتّقي حسابا
أجلّك يبكي الحضر الغيابا
وتألف الوجوه الاكتئابا
وتركب الأرامل الصعابا
وتحمل الكواهل الهضابا
ليت الذي سن لنا القرضابا
يسمع لو يستطيع ذا الخطابا
من زاهبٍ لا يرتجي إيابا
وسائل لا يحفل الجوابا
يلبس من دمائه جلبابا
متخذًا جراحه أكوابا
بكرهه ودمه شرابا
يا ملكًا أجبْتُ إذ أهابا
خال الدماء ذهبًا مذابا
فساقنا إلى الردى أغصابا
أجزّ وليدي واحتقب ثوابا
وكن معينًا لأبٍ قد شابا
يبكي ويستبكي لي السحابا
وزوجةً ألبستّها المصابا
تسفي على واضحها الترابا
لا تجعلن ظلم العباد دابا
بل أنت لا تسمع لي خطابا
هل يرحم الضعيف والمصابا
ملك يرى الرحمة فيه عابا
أدعو الذي إن أدعه أجابا
ثم ارتمى وافترش الصحابا

مناجاة الهاجر

مني له أبداً ما عشت نشدان
يمر بالسمع لفظاً منك فتان
لو كنتَ تنصف إن الحق عُريان
شعري وإحسانكم صدٌّ وحرمان
شعرٌ عفيف وأشواق وتحتان
يقلّي الهوى والهوى والحسن أقدان
عف الأديم لفضل فيه برهان
في حسنك الغض والإنسان إنسان
حتى أبيت وكل النقص رجحان
والكون جهماً ووجه الجو غيمان
عن أن يكون بها عيبٌ ونقصان
وقد تحمّل للتوديع خلصان
بعد النوى وانصداع الشمل لقيان
عليه منه على الأيام ريعان
دهراً فأعقب نكرانيه عرفان
إلا الجمال وآي الحسن قرآن
وآمنتُ من نفوس الناس آذان
أن ترسم اللحظَ ألفاظاً لها شان

غذائي الحبُّ يا من فيه حرمانُ
وهل غذائي إلا أن أراك وأن
وما أقلُّ الذي أبغي وأيسره
ذنبي إليك هوى ينفك يعلنه
يا ليت أن ذنوب الناس قاطبةً
عجبت ممن براه الحبُّ كيف غدا
لأي أمر طويت الكشح عن رجل
أخفت أن تأخذ العينان منقصة
فقلت أعشى مآقيه بأدمعها
كذلك الشمس يعشى طرفها أبداً
كلا لعمرى لقد جلّت محاسنه
أرق من دمة التوديع طلعته
وما ابتسامة ولهانين لفهما
يوماً بأعذب من حسن تسربله
عبدتُ فيه إلهاً كنتُ أكفره
هذا نبياً ولم يُبعث وليس له
آمنت بالعين عن طوع وفي سعة
لو أنه كان في وسعي ومقدرتي

لقالَت النَّاسُ هَذَا مِنْكَ بَهْتَانِ
إِلَّا الْمَلَائِكُ لَا إِنْسُ وَلَا جَانِ
أَحْكَامُهُ وَخِيَالُ الْفَحْلِ مَعْوَانِ
وَلَيْسَ يُبْلِي جَدِيدَ الشَّعْرِ أَزْمَانِ
إِلَّا غَدَا وَهُوَ بِالْأَشْعَارِ حَلِيَانِ
تَأَلَّقَ الْحَسَنُ فِيهِ فَهُوَ ضَحِيَانِ
وَمَاسَ فِيهِ وَرَبُّ الْحَسَنِ ذَبْلَانِ
هَذَا اللَّيَالِي وَغَيْرُ الشَّعْرِ وَهَنَانِ
مَطَاعِنَاتٍ وَلِلْأَيَّامِ تَطْعَانِ
لَهَا عَلَى ذَلَّةِ التَّقْوِيضِ إِذْعَانِ
يَبْقَى عَلَى الْغَصَنِ أَنَّ الْغَصْنَ فِينَانِ
لَهُ عَلَى الْأَرْضِ عَدْوَانِ وَطُغْيَانِ
لَا غَنَمَ فِيهِ وَبَعْضُ الرِّبِيحِ خَسْرَانِ
هَذَا الْجَمَالَ فَلَا يَعْرِوهُ نَقْصَانِ
أَلَيْسَ فِي الدَّهْرِ إِرْوَادٌ وَإِمْعَانِ
أَنْتَى وَنَائِمٌ هَذَا الدَّهْرُ يَقْظَانِ؟!
مَا إِنْ لَهَا غَيْرُ فَرَطِ الْحَسَنِ إِمْكَانِ
فَلَنْ يَدُومَ لِهَذَا الْحَسَنِ رِيْعَانِ
يَبْلَى جَمَالُ فَتَى بِالشَّعْرِ يَزْدَانِ
يَصُونُهُ الشَّعْرُ إِنْ الشَّعْرُ صَوَّانِ
فِي بَعْضِهِمْ غَائِبٌ وَالْعَيْشُ مَيْدَانِ
وَرَاحٌ وَهُوَ بِمَاءِ الْحَسَنِ رِيَّانِ
بَعْدَ التَّنَاسُبِ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانِ
لَكِنْ يَعْجِفُهُ وَالدَّهْرُ سَغْبَانِ
وَلِلْجَمَالِ كَمَا لِلزَّرْعِ إِبَّانِ
لَوْ كَانَ فِي الدَّهْرِ إِنْصَافٌ وَعَرْفَانِ
وَهَلْ لَذِي الْحَسَنِ غَيْرُ الشَّعْرِ أَكْنَانِ

وَأَنْ أَصَوِّرُ فِي الْقِرْطَاسِ فَتَنَّتَهُ
سَحَرٌ لِعَمْرِكَ لَمْ يَمْنَحْهُ مِنْ أَحَدٍ
وَشَاعِرٌ لَبِقُ التَّصْوِيرِ يَحْكُمُهُ
يَكْسُوهُ مِنْ شَعْرِهِ ثَوْبًا يَخْلُدُهُ
فَمَا يَعْطِلُ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهِ
وَرَبٌّ مَسْوَدٌ سَطِرَ أَنْتَ تَحْقِرُهُ
وَعَاشٍ فِيهِ جَمَالٌ طَاحَ لَابِسُهُ
وَالشَّعْرُ حَصْنٌ عَزِيزٌ لَيْسَ تَقْهَرُهُ
كَمْ قُلْتَ لَمَّا رَأَيْتَ الدَّهْرَ أَيْدِيَهُ
مُقَوِّضَاتٍ حَصُونًا وَهِيَ مِنْ ضَرْعٍ
يَذْوِي تَعَاقِبُهَا الْغَصْنُ الرُّطِيبُ وَلَا
وَجَائِعُ الْيَمِّ لَا يَنْفِكُ مِنْ سَغْبٍ
كِلَاهُمَا أَبَدًا رِيحٌ لِمُصَاحِبِهِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي أَلَا شَيْءٌ نَصُونُ بِهِ
أَمَّا يَثْقُلُ هَذَا الدَّهْرُ أَرْجُلَهُ
وَكَيْفَ نَصْرَفُ عَنْهُ لِحْظَ طَالِبِهِ؟
وَهَلْ تَغَالِبُ هَوَجَ الرِّيحِ رَجْسَةً
إِلَّا تَكُنْ هَذِهِ الْأَشْعَارُ خَالِدَةً
يَبْلَى مَعَ الْحَسَنِ عَشْقُ الْعَاشِقِيهِ وَلَا
لَا بَدٌّ مِنْ هَرَمٍ لِلْمَرْءِ غَيْرَ فَتَى
وَإِنَّمَا النَّاسُ كَالْأَمْوَاجِ بَعْضُهُمْ
إِذَا الْفَتَى ائْتَلَفَتْ أَلْوَانُ رَوْنَقِهِ
عَدَتْ عَلَى حَسَنِهِ الْأَيَّامُ فَاخْتَلَفَتْ
مَا يَسْمَنُ الدَّهْرُ إِنْسَانًا لِيَشْبِعَهُ
وَكُلُّ مَا تَزْرَعُ الْأَيَّامُ تَحْصِدُهُ
أَظَافِرُ الذُّئْبِ أَحْرَى أَنْ يَقْلَمُهَا
لَكِنْ شَعْرِي بَرِغَمِ الدَّهْرِ يَكْلُوهُ

ما ضرَّ ذا الحسن أن الحسن عاريةً تبقى له الروح إما رث جثمان
كالورد إما ذوت يوماً غلائله ذكى فصار به عنهن غنيان

* * *

أراه في الزهر مخضلاً وأسمعه في هادل الطير هاجتهنَّ أشجان
وأجتلي نفسه في الماء حفَّ به على الجوانب ريحان وحوذان
لكنني كسجين مرهقٍ تعب تسكُّ مسمعه في السجن ألحان
تضيئه الشمس من قضبان محبسه ودونَ أن يجتليها الدهر قضبان
يا ليت شعري وهل في ليت من فرج من أزم ما أنا عانٍ منه أسوان
ماذا أراد بنا حتى نأى ودنا طيف يخادع طرفي وهو وسان
إخال أنِّي إذا استوحشت أنسني على النوى منه أشباه وأقران
يبدي ودادي ويحمي العين رؤيته لو كان ينصف ساوى ساوى ذاك ميزان
عجبت من مائل عنا وإنَّ لنا شعراً كما سجعت في الروض مرنان
لكل روضٍ نضير طائرُ غرد كذاك نحن حماماتُ وبستان
أما يرى غايتي في الشعر واحدةً وإن تباين أوزانُ وأوزان
فما أحوك على الأيام قافيةً إلا وفيها على حبِّيه عنوان
أكسو قديمي أفواهاً تجده وبعض ما تكتسي الأشعارُ أكفان
كالشمس غاربة طوراً وطالعة عوداً لبدءٍ وما للشمس إيهان
مسبِّحاً باسمه في كل آونة كما يسبح باسم الله رهبان
كأن ذكره آياتُ أرتلها كما يرتل إنجيلُ وفرقان
لي من ملاحظته وحي يساعفني إذا أعان على الأشعار شيطان
قليل ذكره في شعري يزيّنه كأنما ذكره درُّ ومرجان
أراك تجرحني باللفظ تبعثه يا ليتني جرحتني منك أجفان
قتلتَ بعضي فأتمم ما بدأت به فالقتل إمّا استحالة البرِّ إحسان
وكن كما أنت قاس كيّساً فطناً فللجفاء كما للرفق أحيان
أذقتني النار في الدنيا فأحرِ بأن يذيقني منك طعم الخلد رضوان
أمنتُ بالحب فاجز المؤمنين كما يجزي على طاعة المخلوق ديّان
ضننتُ باسمك حتى لا تدنسه أفواه ذي الناس إن الناس ديّان

حتى كأن لم يكن ودُّ وتحتان
يقتصُّ مني لكم وجدُّ وأشجان
يحميه أن يفعل الأسواء وجدان
فليس في البعد للمشغوف سلوان
عن الورود فيروى وهو غلَّان
ما الليل إن لم يكن بالصباح إيقان
فيها سوار لها سحٌّ وتهتان
ولا بقلبي أحقاد وأضغان
فاعجب لقلبٍ خليٍّ وهو ملائ
أحبه وكأن الناس ما كانوا
على الليالي فلي بالذكر نسيان
وكان للموت مني مني الدهر نشدان
فالحال واحدة والطعم ألوان

من ذا كرهت فلم أنبذ مودته
أما تراني إذا هاجرت من غضب
إني أعيدك من ظلمي وأنت فتى
لا تحسب البعد يسيليني فتهجرتني
هل ينفع الصبر ملتحاً تدافعه
ما لذة القلب خلواً من دخيل هوئ
هل تمرع الأرض لم تنسج مناسجها
ما لي بغير الهوى في العيش من أرب
محا الهوى من فؤادي كلَّ مقلية
كأنما ليس في الدنيا سواه فتى
أنساني الحب ما قد كنت أحمله
فعدت أطلب أن أحيأ له أبداً
أحيأ وأزهق آمالاً شقيتُ بها

* * *

لكنهن على الأشجان أعوان
حيرى يزافرها حيران لهفان
يهيجه طربٌ مثلي وأشجان
أذيه فلسري منه إعلان
وخير ما سكن المعمود غيران
بالبحر أنس وبالأرواح جيران
إذا ما لأسرارها في الصدر إجان
نمَّ الصباح بما يطويه أجان
معذباً بالمنى من معشر خانوا
من السحاب قلادات وتيجان
وساقيات لها سجع وإرنان
إذا خلت لي من الإنسان أوطان
إذا اعتزلت وهل للداء فقدان

يا ليت لي والأمانى إن تكن خدعاً
غاراً على جبل تجري الرياح به
والبحر مصطفق الأمواج تحسبه
إذا تلفت في خضرائه اعتلجت
خلَّ القصور لخالي الذرع يسكنها
حسبي إذا استوحشت نفسي لبعثكم
لا كالرياح سميئ حين ثورتها
تفضي إليك بنجواها زمازمها
إذا الفتى كان ذا شجو يميده
فنعم مسكنه غارٌ له أبداً
ونعم أقرانه بحرٌ له زجلٌ
وما أبالي وقد أصبحت مطرّاً
ما بي إلى الناس أطرابٌ فأفقدهم

يكون بيني وبين الناس وديان
 فلست أدري أفوق الأرض سكان
 وأظلم الجو؛ إنسانٌ وعيران
 إن قطعت بيننا بيدٌ وغدران
 من يالف الكأس يالْم وهو صديان
 فللرياح كما للناس أَلحان
 لا رفق فيه فإن البحر حنَّان
 وقد تسرَّي من الأشجان أشجان
 منها بها ولعجم الموج تبيان
 والبحر مصطخب والليل طحيان
 وجونٍ ليلٍ له كالهم إيطان
 كأنهن على الأغصان قنوان
 وأقحوانٌ على الحافات نعسان
 يا حبذا نرجس لهفانٌ جذلان
 طورًا وطورًا تراه وهو عقيان
 أرعى وأنت على الأيام غفلان
 خضر يضاحك فيها الوردَ ريحان
 أو شئت ألهاك مسجاع ومرنان
 تنأى وتدنو كما يختال نشوان
 من الزمان كمن ضرَّته أزمان
 والبحر والريح سَمَّار وندمان
 فلي بذكرك ريحان وسوسان
 كنتم تحبونها والوصل فينان
 وللبروق بقلب السحب أثخان
 من السحاب على الأطواد غيران
 وديمة كحلها نور ونيران
 كما يغيب سرَّ المرء كتمان

بينني وبين الورى بون فأحج بأن
 إنني شغلْتُ بمعراض أخى مللٍ
 سيَّان عندي إذا ما ازورَّ عن نظرى
 وما عليَّ وليس الناس من أربي
 هيهات أنسُ بالإنسان ثانيةً
 خلَّ الرياح تناجيني وتعزف لي
 إن يستخفُّ بما ألقى أخو عنفٍ
 تسليك منه وإن أشجتك روعته
 والبحر للنفس مرآة ترى صورًا
 يا حبذا الغارُ والأرواحُ نائحةً
 ومرحبًا بهموم لا ارتحال لها
 وأنت بين أبابيلٍ مغردة
 حمائمٌ في نواحي الروض هادلة
 ونرجس كاسف والعين ضاحكة
 والماء كالفضة البيضاء سائلةً
 بمعزل عن هموم أنت موقدها
 لك الرياض عليها الدهر أوشيةً
 إن شئت حياك فيها النور مبتسمًا
 أو شئت في ظل أغصان موسوسة
 جريت في حلبة السراء منتصفاً
 ولي الجبال عرايا غير كاسية
 إن فاتني من ذكيَّ الورد نفحته
 وإنما حبيب الأَجبال أنكم
 هل أنس ليلتنا والغيث منسكبٌ
 وقوله لي من لي أن تظللني
 ريح تهب لنا من كل ناحية
 يلفنا الليلُ في طيات حندسه

نكاد نلمس بالأيدي السماء ونجـ
وللصدى حولنا حال مروّعة
لكل صوت صدّى من كل منعطف
يطير كل صدّى عن كل شاهقة
تبدو لأعيننا البلدان كالحة

* * *

حاشا لمثلي أن ينسى وإن بعدت
هيهات ما تطفئ الأيام حرّ جوى
كالنهر عمّق مجراه تحدّره
لنا بما قد مضى عن غيره شغل
وصرتُ لا أنا من ضراء مبتئس
أعطيتك العهد أن أحيّا لكم أبدا
ما لي سوى طيف أيامي التي غبرت
كأنني حين أدعوه وأنشره
هذا نديمي أناجيه ويترع لي
كم ليلة بات يحييها معي سهرا
يطوف بى بين أطلالي ويطرفني

* * *

عاد الربيع فهل في ظل برده
واخضرت الأرض واستحيا الموات فهل
حتى الطيور لضم الله ألفتها
وهل أقول له والسنّ ضاحكة
يا مرحباً بربيعى جنة وهوى
قد كانت السُحُب تبكي عند فرقتنا
وكان يؤنسني ريح مزفزة
أرمني بظني وأخلق أن يطيش وفي
طامن رجاءك لا الآمال نافعة

وقل لمسود يأس كنت تألفه
 إنا عشيّراً مصافاة مصفقة
 لو أنّ ما بيننا رثّت مرائره
 لكنني سأرد النفس مكرهة
 يا يأس فاجعل بساط الروض مرقدنا
 واجعل ذراعيّ إمّا نمت أوسدة
 «إلا يكن وجدّ حرّ ملء همته
 يا من به اصفرّ لون العيش وانفصمت
 ومن توسط مجلى الأفق فاحتجبت
 ومن أسالمة والنفس عالمة
 ومن بكرهي جعلت القلب مسكنه
 إني لأهوى على ذا أن تلبسني
 عسى إذا ما تلبسنا تغيبني
 عسى ترنق في قلبي فتقصده
 إني اجتويت مذاق العيش وانتفخت
 وحنّ قلبي إلى نوم تخادعني
 حتى إخال بأنني في بلهنية
 وأنني لست من ليعت جوانحه
 حتى إذا دبّ بعد النوم صاحبه
 وشارف الحين واستروح نشقته
 وكلّ ذهني حتى ما يحركه
 والتفّ حولي خلّاني وأصرتي
 مصغين حتى كأنّ الموت يخطبهم
 طوراً وطوراً يهي بالخطب صبرهم
 وأضمرتني أرض لست أعذرهما
 وغيبوني بملحود ينادمني
 نضوت عني هموماً كنت ألبسها

عمر الزمان لنحن العمر إخوان
 وقد وشّجت بيننا قرى قربي وألبان
 لكان خيراً وبعض الغوث خذلان
 على الذي تتقي والله معوان
 والسرو كلّتنا فالسرو محزان
 واعذر إذا لام فقر الحر ضيفان
 فقد يمد وعاء وهو نصفان
 عرى الرجاء ودّكت منه أحصان
 به البدور وضلت ثمّ شهبان
 بأنه حربها إن طاش حسبان
 كما تُواري نصال البيض غمدان
 عسى تبرّد قلبي وهو هيمان
 بعض الظلال لها في البعض إجنان
 فطالما نام جفني وهو سهران
 مساحري منه إن العيش ذيفان
 أضغات أحلامه والليل نعسان
 وأنّ عيني لم يدمع لها شان
 وبات فيها من الأشجان جولان
 فالجفن من سكرات الموت سكران
 والعين شاخصة والوجه بردان
 شيء وأعيا لساني وهو سحبان
 وكلهم شرق بالدمع غصّان
 فالكلّ حولي أذان وأعيان
 فيعولون كأنّ القوم غيلان
 إن عاودتني تحت التّرب أديان
 به من السّحب هطّال وهتان
 مع الحياة فلي بالموت سلوان

ومن دموع لها في العين عيان
وفي التراب توافي الهمَّ أحيان
فلن تضيق بها في القبر أعطان
في دينه لي تسويفُ وليان
هل يرهق القلب ضرًا منه عدوان
ودون ذلك صفّاح وكثبان

واستروح القلب من شوق يلدّه
في ظلمة القبر للثاوي به فرج
من لم تسع نفسه الدنيا بما رحبت
دين عليّ سأقضيه إلى زمن
يا ليت شعري إذا بُوئت في جدثي
لسوف أسخر منه وهو يطلبني

* * *

قدّرت أن تجلب الآفات أذهان
في السر والجهر غيلان وذؤبان
حلمُ يراه من الأرباب سكران
من الورى ما له كالبحر شطآن
أصمُّ ليس له باللين إيذان
عن الهموم وهل عنهنّ حيدان
متينة فإذا بالدرع كَتَّان
بطنانه لقلوب الناس ظهران
حتى تشابه عقيان وصيدان
فكل ما تبصر العينان حَسَّان

ما كان ذلك ظني بالحياة ولا
ولا تخيّلت أن الناس كلهم
ولا توهمت أن الكون وأحرَ بي
وأُنني موجةً في زاخرٍ لجب
بحرٌ كما شاءت الأقدار مصطخبُ
ما كنت أمل أن أحيّا بمنتزع
أعددت للدهر درعًا كنت أحسبها
وكنّت أنظر في قلبي وأحسب في
فشدّ ما موهت نفسي وجوهمُ
وأنما النفس مرآة إذا كرمّت

* * *

عليك يا قلبُ أنت الدهرَ حيران
كبرت يا طير عنه فهو تعبان
حينًا وسرّي من الأشجان إخوان
فجر يزوره كأُسّ وخلان
لا هم عداة ولا صحبٌ وخلصان
لو فرقتنا وبعضُ المنع إحسان
كأنما ما لها إله إيوان
والنبت أن مرحت منه أغيصان
فكل شيء تراه العين صوّان

بين الرجاء وبين اليأس يا أسفي
لا بل عليّ وصدري مَوْكِنُ خرع
إني وإن أطلقت نفسي مُعْتَقَّة
ففي فؤادي ظلام لا يزحزحه
هيهات يؤنسنني قوم نكرتهم
تضمننا صدف قد كنت أحمدها
مخاوف القلب شتى غير واحدة
حتى السحاب وحتى الريح تفزعني
قسا عليّ رفيق القلب ليّنهُ

رفقًا بنا إننا طيف سيخلجنا
ما طال عمري ولكن طال ما حملت
كأنني عشتُ أدهارًا وأزمنة
وأكبر الظنُّ أن الحين يعجلني
طول البقاء لكم إنَّا على سفر
أصاب حبك منا شبعه أبدا
أعزز علينا بأن يشجيك مصرعنا
قد كنت أشفق حيًّا إن يصيبكم
عنكم وإن طالت الأيام موتان
نفسى فسنى وإن لم تعلُ أسنان
ولم أعش غير أيام لها شان
فإنَّ مرَّ الرياح الهوج عجلان
يرىغنا أكلُ للناس مِبطان
وسوف تأكل ما أبقاه ديدان
وأن تروح بجفن وهو عبران
سوءٌ وأحذر أن يهمي لكم شان

العتاب

خليليّ ما يغني العتاب إذا انطوى على البغض قلب كالزمان حثول
إذا لم يكن صدقي الودادَ بنافعي فكل مقالات العتاب فضول

الملل من الحياة

أكلما عشت يوماً	أحسست أنني مُتُّه
وكلما خلت أنني	وجدت خلصاً فقدته
لا أعرف الأمن عمري	كأنني قد رُزئتَه
ما تأخذ العينُ إلا	ما ملني ومللته
كأن عيني مدلو	لُةً على ما كرهته
تضيئني الشمس لكن	لأجتلي ما أجمته
ثوب الحياة بغيضٌ	يا ليتني ما لبسته

الخاتمة

إلى صديق

دعني خليلي إذا استوفيت أيامي	وَقَرَّ ثَائِرُ أَشْجَانِي وَأَلَامِي
وصرتُ لا الصيف يؤذيني بوقدته	وَلَا الشَّتَاءُ بَتَوَكَّافٍ وَإِرْزَامِ
ولا يحركني بغضٌ ولا مِقَّةٌ	وَلَا تَرِيقُ هُمُومِي دَمْعَ أَقْلَامِي
ولا يسهّدني ضيم يراد بنا	وَلَا أَبَالِي بِأَرْزَاقٍ وَأَقْسَامِ
أحيا بقلبك إن ضاق الزمانُ بنا	وَطَاطَأَ الْمَوْتُ مِنْ إِشْرَافِ أَحْلَامِي
وإن تقدّمني في الشعر قالتُه	وَفَاتَنِي كُلَّ عَنَانٍ وَأَمَامِ
فاحفظ قصيدهم من أجل جودته	وَاحْفَظْ قَصِيدِي لِحُبِّي لَا لِأَحْكَامِي

الجزء الثانى

سبق طبع هذا الجزء في حياة الشاعر — رحمه الله — وهو مشروح بقلمه.

الإهداء

ذهني محراب حسنكم وبه
وخاطري لا يني يرتل كالـ
لأبتين مذبحاً وأجعل قر
إذا خبت ناره وقصت لها
فاقبل فؤادي لحسن وجهك قر
صورتكم دون سائر البشر
سراهب آيات حسنك العطر
باني فؤادي وما انقضى وطري
عود المني فهو غير ذي ثمر
باناً فقد كان خير مدخري

إبراهيم عبد القادر المازني

المقدمة

بقلم صاحب الديوان

الشعر في أصله فن ذاتي يحاول الشاعر أن يرضي نفسه به، ويتعلل ويتلهى، إلا أن هذه الحال التي ليس للشعر فيها إلا غرض ذاتي، ولا غاية إلا الترفيه عن أعصاب الشاعر وإراحته من ثقل الفكرة التي تتحول إلى عاطفة؛ هذه الحال لا وجود لها إلا في العصور الأولى من تاريخ الإنسان، أيام كان يأوي إلى الكهوف والغيران، وينقش على جدرانها صور الحيوان الماثلة في الذهن المتشبثة بأهداب الذاكرة والوجدان؛ أولئك المستوحشون الذين كانوا يزينون كهوفهم بصور الحيوان والأعداء والنساء، ويوقظون الصدى في مخارم الجبال ومنعطفات الأودية بأنغامهم الشاكية الهافية، ويطفئون وقدة الوجد بالرقص في لياالي الربيع على ضوء القمر، ويترجمون عن إحساسهم بظواهر الكون في أغانيهم وأساطيرهم، هؤلاء هم أول — وآخر — من عالج فناً لذاته.

ثم لم يلبث الشاعر أن أحس فرق ما بينه وبين سائر الناس، وأدرك أن إحساساته أدق، وأدائه عنها أبلغ وأوقع، وأنه في الجملة أبعد منهم مرمى، وأرفع مصعداً، وأرقى قدرًا، وأن له شأنًا غير شأنهم، وأنهم يلتذون كلامه ويشجعونه على إمتاعهم بمثله، ويزفون إليه ثناءً لا يلبث أن يصير إعجابًا، وخليق أن تُحدث هذه الحال الجديدة الناشئة عن شعوره الجديد تطورًا في أغراضه وبواعثه، فيصبح ما كان ضرورة جسمية ذاتية — كالطعام — فناً عمليًا يزاوِل ويعالج، ويُتعهد بالتهذيب والتنقيح والتجويد، ويصبح ما كان في أصله وحياً لا حيلة له فيه عادةً وأسلوبًا؛ وسرعان ما يصبح الشاعر يقلد نفسه!

فإذا كرت الأيام، ودار الزمن، وجاء وقت التفكير الهادئ، والعمل المرتب المنظم ذكر الشاعر ساعة تملكته حمى الوحي والإلهام، ودفعته قسراً في طريق الأدب، وإن غريزته ما زالت تلهمه وتوحي إليه، ولكن عمله في الواقع قد صار صناعة تقسره عليها الإرادة الذكية، والرغبة الملتهبة، وما زال يطلب إرضاء نفسه وهو يعالج عمله، ويبغي الترفيه عنها من ضغط عواطفه، ولكنه قد أصبح طماع المعين كثير المراغب يفكر في جمهور قرائه وعشاقه، ويحلم بما يمني به نفسه من النجاح.

وواضح من ذلك أن الشعر كان يعالج لذاته، أو بعبارة أخرى: ليريح المرء نفسه من ثقل الحاجات الجسمية، ثم صار الشاعر يطلب أن يرضي غيره فضلاً عن نفسه، وامتزجت فكرة النجاح والتأثير بعواطفه المنتجة، ولكن الشعر الذي يقع من قلوب الناس ويبتعثهم لا يمكن أن يكون تقليدياً مكذوباً؛ فإن القلب لا يخطئ في التمييز بين الشعر الكاذب والشاعر الصادق، وللنفوس معايير حساسة لا يجوز عليها التزييف والتمويه والتزوير.

يُبَدُّ أنني لست أنكر أنك قد تبلى بالكذب ما لا يبلغه الصدق، وتنال بالتمويه والخديعة ما لا تنال بالحق، غير أن الأديب أكبر من ذلك وأرفع، وغايته أسمى وأبعد، وللشعراء ضمائر شاهدة غير نائمة، والحق أحق أن يستولي على هوى النفس، وينال الحظ الأوفر من ميل القلب؛ وكيف يطيبك رجل يمسك على ما في نفسه ويستتر ما يناله حسه، ويفر من شخصيته، أو رجل لا ينظر بقلبه ولا يستعين بفكره ولا يستنجد فهمه، أو آخر يأبى أن يبرز معانيه من ضميره، وأن تدين لتبيينه وتصويره، وأن ترى سافرة بغير نقاب، بادية دون حجاب؟

لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والإخلاص حتى استخف بهم الناس، واشتد غلوهم في إنكار مكان الحاجة إليهما، حتى أنكرنا عليهم ما تكلفوه من فضول القول ونفاية الكلام، وما تجشموه من ضروب الأغراب الذي لا يغني من الأدب شيئاً، وأنواع المعاياة التي لا تعود بطائل، ولا ترجع بفائدة؛ ولعمري لست أعرف شيئاً هو أحلى جنئاً وأعذب ورثاً من الشعر إذا صدقنا أهله المقال، وترفعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا إليه ولا ضرورة تحملنا عليه، وتنزهوا عن مجارة الناس ومشايعة العامة وتوخي مرضاتهم؛ فإن لنا أعياناً كأسلافنا وقوة حاسة كقواهم، ومادة الشعر لا تفنى ولا تذهب؛ لأنه ليس شيئاً محدوداً معلوماً.

ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب.

وما الشعر إلا معانٍ لا يزال الإنسان ينشئها في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، والمعاني لها في كل ساعة تجديد، وفي كل لحظة تردد وتوليد، والكلام يفتح بعضه بعضاً، وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك، والصدق في الترجمة عن النفس والكشف عن دخيلتها أبلغ في التأثير وأنجح، والأصل في الشعر وسائر الفنون الأدبية على اختلافها وتباين مراميها وغاياتها، النظر بمعناه الشامل المحيط، وإذا كان هذا كذلك أفليس من العبث تقليد السلف والاقْتصار على احتذائهم والاقْتياس بهم، فإن وصفوا النياق والحمير وصفنا القاطرة والعربات؟ ألا ترى أن العرب الذين وصفوا النياق والحمير والخيول وأشباهها قد أضاعوا أعمارهم؟ لا ريب أن وصفهم ذلك طبيعي، ولكن هذه اللفظة غامضة كل الغموض؛ فإن الحمير طبيعية، والعواطف والانفعالات النفسية طبيعية، بيد أنه لا يجوز الخلط بينها؛ لأنها جميعاً مختلفات، والحقائق الطبيعية فيها الضئيل والعظيم والحقير والجليل، وفيها ما هو أخشن من أن يحتمله نسج الشعر الرقيق، وهناك حقائق يخطئها الإحصاء عدا النياق والحمير، وللحياة غايات وآمال أكبر مما يشغل النظر، ويستغرقه من ذاك. وقد يدل وصفها على براعة وإبداع، ولكنه حقيق أن يدل على عجز عن التفتن للحقائق الفنية الجليلة التي ينبغي أن تكون العناية بها أشد من العناية بالحمير والنياق.

إن الشعر ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم في أسعد الساعات، وهو الذي ينقذ من الفناء والعدم خواطر الإلهام، وهو يخلق بالمرء فوق الحياة، ويرغمه أن يُحس ما يرى وأن يرى ما يُحس، وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل، وهو يجعل القبح جمالاً ويزيد الجمال نضرة وجلالاً، ويفجر في النفس ينباع الأمن والفرح والسرور والألم، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة في عروق الحياة، فلا جرم كان الشاعر أحس الناس، وأعمقهم حكمة وأجمعهم لخلال الخير وخصال الفضل، نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهز القراء رءوسهم إنكاراً؛ فإن الشعر أساسه صحة الإدراك الأخلاقي والأدبي، ولست بواجد شعراً إلا وفي مطاويه مبدأ أخلاقي أدبي صحيح، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الإدراك الأدبي تكون قيمة شعره.

ولا يتعجل القارئ فيحسب أننا نقصد إلى إظهار الإحساس الديني في الشعر، فليس كلامنا على مادة الشعر، بل على مصادره وينايعه، ولا ينبغي كذلك أن يستخلص أن الشاعر يجب أن يكون صاحب مبدأ عملي لا يتحول عنه، فقد كان بيرنز الشاعر الإنجليزي، وأبو نواس، وامرؤ القيس متقلبي وجوه الحياة ومظاهرها، ولكن نصيبهم مع ذلك من صحة الإدراك الأخلاقي والأدبي عظيم.

ولئن كان لهم معاييب نؤاخذهم بها فقد أحالها الزمن هباءً لا قيمة له ولا وزن، وأنت خليق أن تنظر إلى ما وراء ذلك، فإن أبا نواس أصبح مبادئ وأنقى ضميرًا من البحترى على كثرة ما تقرأه للأول مما يروع ويخجل، وكذلك امرؤ القيس أفطن إلى معاني الفضيلة وأعظم رجولة من أبي تمام وابن المعتز، ولم يكن الأعشى على حبه الخمر واستهتاره بها وتخلعه فيها بالرجل الناضب الفضيلة.

وكأني بهذه المعاييب والمظاهر الخادعة من لوازم الحياة، والشر بعد لا ينفي الخير، بل قد يُنتج هذا ذاك، فإن مما لا شبهة فيه ولا ريب، أن النفس الإنسانية ليست كخزانة الكتب ترى فيها الفضائل والردائل مرصوفة مرتبة لا تعدو واحدة مكانها ولا تتجاوزها إلى سواه، وإنما هي ميدان لتلاقيها وتلاحمها، وعالم صغير تتصادم فيه الغرائز والملكات، وتقتتل على الحياة والبقاء كما يحترب الناس في هذا العالم الكبير، ويتنازعون البقاء فيما بينهم، وبحر تتسرب فيه الطبائع بعضها في خلال بعض كما تتسرب الموجة في خلال الموجة وتغيب.

ولكن جمهور الناس وعامتهم لا يفقهون شيئاً من ذلك، وهم إنما يقدرون الرجل بما يبدو لهم منه في فعالة أو كلامه؛ إذ كانوا لا يستطيعون أن يوفقوا بين مظاهر الشر والخير، ولا يعلمون أن السكير مثلاً قد يكون أصبح مبادئ ممن لا يعاقر الخمر ولا يني عن التسبيح في السر والعلانية، ولست أريد أن أدفع عمن يتنزى إلى المقابح، ويتصور إلى المعاييب، وإنما أريد أن أقول: إن القارئ ينبغي أن ينظر من شعر الشاعر إلى نفسه، وأن يتلمس من معاريض كلامه ويستشف من وراء لفظه نصيبه من صحة الإدراك الأخلاقي، وأن يجعل ما يستبين له من ذلك مقياساً للشاعر لا ما يقرأه من ذكر الخمر والتشبيب وغير ذلك.

وبعد، فإن القراء لا ريب ينتظرون منا كلمة فيما قيل عنا من انتحال معاني شعراء الغرب، والإغارة على قصائدهم وادعائها. ولقد كنا نحب أن نغضي عن هذه التهم اكتفاءً بإظهار الجزء الثاني من ديواننا؛ فإنه وحده خير رد على ما رمينا به، ولكن الضجة التي قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التي لم يخفها قتلى المذهب العتيق، لا تجعلان السكوت من الحزامة في شيء، ولقد كان الإنصاف ألا يلام غيري إذا صح ما نسب إليّ، ولكن الناس تجاوزوني إلى غيري، واتهموا سواي قياساً عليّ، وإن كنت لم أرم أحداً ممن نقدوا شعري بالسرقة! وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس من الفهم والعدل. أما ما قيل إنني سرقته فقصاص بعضها — وهو الأقل — مطبوع في الجزء الأول، والبعض لم يكن قد نُشر بعد، ولست أدري كيف استحل الناس لأنفسهم أن يجزموا

أنى إذا طبعت الجزء الثاني لا محالة منتحل هذه القصائد؟ وهي «الراعي المعبود»، و«الوردة الرسول»، و«الغزال الأعمى»، و«إكليل الشوك»، وخمسة أبيات من قصيدة الشاعر المحتضر، وكلها منشورة في هذا الجزء منسوبة إلى أصحابها.

أما ما اتُّهمنا بسرقة ما ورد في الجزء الأول من ديواننا، فقصيدة «فتى في سياق الموت» وهي ثمانية أبيات، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر «هود» فوجدنا في قصيدتنا أبياتاً ليست له، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين، ونبرأ إلى الله من تعمد أخذها والإغارة عليها، وقصيدة «قبر الشعر» وهي خمسة أبيات نكلها إلى حظ أختها.

ولقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة لنميط عنه هذا الأذى، وراجعنا دواوين الشعراء التي عندنا زهادة منا فيما عسى أن يكون قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم، فلم نعثر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة إلا أبيات في «رقية حسناء»، وهي لـ «شلي»، والجزء الأخير من قصيدة «أمانى وذكر»، وهو لـ «بيرنز»، وأول هذا الجزء «يا ليت حبي وردة».

ولو أن ما أخذ علينا في الجزء الأول، وما نبهنا القراء إليه من تلقاء أنفسنا حُذف، لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا؛ فإن في ديواننا الأول نحو ألف بيت، وليس ما أخذ علينا خيرها.

ولئن كان هذا دليلاً على شيء، فهو دليل على سعة الاطلاع وسرعة النسيان، وهو ما يعرفه عنا إخواننا جميعاً.

هذا ولا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكري أن نبهنا إلى ما أخذ شعرنا والسلام.

الراعي المعبود

هي قصة قديمة، ولـ «جيمس رسل لويل» قصيدة فيها، وقد نظمها بتصرف كثير ما بين حذف وزيادة.

رائع الحسن من بني الإنسان	غشى الأرض في شباب الزمان
ر وكفاه كالنسيم الواني	وجهه كالربيع روضه القطـ
ع ولا السعي والدعوب يدان	ما له بالطعان والحرث والزر
مصغيات سوانح الغزلان	يقطع العمر بالغناء فتعطو
آمنات من وثبة العقبان	وتحط العقبان بين قمار
ت وتصغى الذؤبان في الوديان	وترى الأفعوان ينصت للصو
هُ بوبلٍ من دمعها هتان	كل عين من حسنه تتلقا
س تنزى كألسن النيران	وله روعة تبیت لها النفـ

أخذت منه روعة الألمان	زعموا أنه اصطفاه مليك
ومغنييه والعشير الداني	فهو ندمانه إذا الكأس دارت
رًا وراعيه سيد الرعيان	وأمين على خزائنه طـ
ه وأورت حزاة الإخوان	نعمة أرمضت قلوب أعاديـ
ن عليه بألسن الأضغان	فمضوا يسخرون منه وينحو
ل يُزجى الزمان بالإرنان	لا رعاه الإله من باهل كـ
سامعوه تمايد النشوان	يرسل الصوت ضاجعًا فيميد الـ

كيف لا يحسن الغناء وقد فا
مسمع معجب ولكنه الآ
عبث كله وإن سحر القلب
ز بعيش النومة المبطان
لُ تراءى للآغب الظمآن
ب بروعات حسنه الفتان

* * *

كلهم فيه حائر ليس يدري
يسمع الناس صوته فيخرو
فإذا ما رأوه عادوا فقالوا
يكتسي منه كلُّ لفظ جمالاً
قصدوا قصده على الرغم منهم
فلهم قول كافرٍ ذي كنود
وهو عنهم في غفلة معرض الوج
يلحظ الأرض والسموات والنا
وكأن الوجود يوحى إليه
ثم وافاه حينهُ فمضى غيب
ترك الأرض ذات حسن جديد
وغدت بعده مواطئ نعليه
أكبرت شأنه الخلائق حتى
ليتهم أنصفوه حيًّا فلما
أمن الإنس أم من الجنآن
ن سجدوا لفاتنات الأغاني
إنها خدعة من الآذان
بارع الأخذ مونق الألوان
وجروا خلفه بغير عنان
ولهم فعل راسخ الإيمان
ه كأن ليس من بني الإنسان
س بعين جنّية الإنسان
بمعاني الجمال والإحسان
مر مَرُوعٍ من المنايا الدواني
وشباب مخلد الريعان
ه حراماً يزورها المشرقان
عبدوه في غابر الأزمان
أن قضى شيعوه بالنكران

الوردة الرسول

مترجمة عن «ولر» بتصرف

تضحك عن طلبها غلائلها	ودمعها في الخدود مزدحم
تهزها نشوة الجمال وللـ	حسن حمياً كالخمر تحتكم
تحسبها لافترارها أبداً	قد سرّها في منامها حلم
أهديتها شبهها وقلت لها	قولي له لو تساعف الكلم
أما ترى رونقي وزهرته	كأنني بالنجوم ألتئم
فكيف تجفو إن شبهوك بنا	وثوب حسني عليّ منسجم
يا مانع اللحظ أن يجول به	كأنما حسن وجهه حرم
يعجبنى المرء ذو الحزامة والـ	فهم ومن لا يغيره الوهم
ولا أحب الجمال متهمًا	في رأيه تستخفه النعم
هبني ببعض القفار نابذة	في حيث لا تهتدي ليّ القدم
إذا لما حسّ رونقي أحد	ولا بكى إن دهانيّ العدم
يا ظالمًا حسنه رُويدك ما	أرخص حسنًا تجنه الظلم
فاسمح بأن تُشتهى ويطمع في	ودك قلبٌ عليك مضطرم

* * *

ثم إن بلى كي تريه مصرعه فكل حسن بالترب يلتطم

نهر الحياة

مترجمة بالحرف عن قصيدة لـ «موريس» اسمها «النهر المتعب».

أبدًا إلى بحر بلا عبر	ماض على غُلوائه يجري
متزاحم كتزاحم الشعر	متفرق لا شيء يحبسه
متوثب عن نزوة الشر	متضاحك سلس وآونة
همس المنى في رونق العمر	زَجَلْ له لحن يذكرنا
رعد الجحيم تثور بالجر	ومزمجر طورًا كأن له
وأجن من غرقى ومن كسر	كم قد أقل عبابه سفنًا
في قعر بحر هائل القعر	ورمى بكلِّ غير متئد
يهوي براكبه إلى البحر	سيظل هذا النهر منجرًا
وتنام عين الشمس والبدر	حتى يمل الدهر دورته
منه ومن بحر الردى القفر!	ويُلي عليه وويل راكبه

لشاكسبير

أبعدوا عني الشفاه اللواتي
أغمضوا دوني الجفون اللواتي
واستردوا إن استطعتم مردا
كن للحب خاتماً وأراها
كن يطفئن من أوار الصادي
هن فجر يضل صبح العباد
لثماتي من الخدود النوادي
عبثاً ما طبعن في الأجياد

حواء والمرأة

من الفردوس المفقود لـ «ملتون»

وقد بعثتني من منامي المقادر
من الظل في أكنافه الزهر يبسم
وأعجب مما أجتلي وأشاهد
وفاضت برقراق المياه سرائره
وفتان تلماع الحباب لناظر
وأقصر حتى قلت جفت مصادره
وشن جمالاً بارعاً وجلالاً
كأن سماءً رُكبت بثراه
فأفصح عن قدّ نقي المحاسر
يصوب مثلى طرفه ويصعد
نظائر ما أبدي له وأعالن
لقد ظل هذا القيد عياني
فما ذاك إلا صورة من جمالك
ومن لا يحول الماء دون عناقه
وهل كنت إلا بعض ما ضم جنبه

وما أنس ذاك اليوم لا أنس طيبه
فألفيتني وسنانة تحت وارف
أسائل نفسي أين كنت ومن أنا
وغار برود الريح جاشت ضمائره
نديّ رنين الصوت في أذن سامع
تحدّر حتى قلت ليس بمنته
جرى ما جرى ثم استقر أتّيه
فلله ما أصفى وأصلق ماءه
رميت بلحظي في صقال أديمه
يصد ويدنو ما دنوت وينثني
ومن عجب أنني بعينيه أجتلي
فلولا رحيم لم أجد غير صوته
يقول رويداً ربة الحسن والصبأ
تعالني إلى من لا يعنّي طلابه
ومن أنت منه صورة هو أصلها

من رباعيات عمر الخيام

مترجمة عن «فتزجيرالد»

١

يا أسفا للربيع يذهب بالـ	سورد فلا تجتليه أعيننا
وللصبا تنطوي صحائفه	ولم يزل نشرها يفاوحنا
وأين لا أين بلبلُ غردُ	كان يغني على الغصون لنا
غاب فهل عند بعضكم خبر	وهل ترى ينقضي تساؤلنا

٢

يا رب باب لم أجد مفتاحه
ورب ستر رمت أن أباحه
فذاذ لحظي وثنى طماحه
قد خضن فينا ألسن جراحه
إذا غد راح بنا مراحه
كسر كل طاعن رماحه

أترع الكأس يا حبيبي ودعني	من أمور يشقى بها الفطن
ليس يغني يا قرة العين شيئاً	علمنا كيف ينطوي الزمن
لم تلد هذه الليالي الحبالى الـ	غدَّ والأمسُ لفه الكفن
فاسقنيها وحسبنا اليومُ ما دا	م غريراً ووجهه حسن

كل يوم لي شكاة

كل يوم لي شكاة
أطمع القلب وما ز
من ذوي الحسن غريز
غرس الوجد وأجنى الـ
معرضاً في غير صد
نافراً وهو قريب
أتمناه ولكن
ضعف الصائد عن ظبـ
لقطفناه لو أن الـ
آه من قلب إلى الحسـ
يا صحاباً أقصدتهم
يتشاكون غراماً
في زمان يقظ الآ
أنا بالشكوى خليق
واهنتوا أنتم بقرب

بكلام العبرات
ود غير الحسرات
متناهي الغفلات
شوق ممرور الجناة
دانياً غير مؤات
وهو جم اللفتات
كيف لي بالأهبات
سي كثير الوثبات
حسن داني الثمرات
من كثير الصبوات
أعين غير ثقات
غير كابي الجمرات
لام موفور الأداة
فدعوني وشكاتي
من غزال أو مهاة

والآ

فذكراك في الدنيا إليّ حبيب
فتعفو كلوم للهوى وندوب
وأنت ضحوك لا تُحس؛ طروب
ولكن جرحي من هواك رغيّب
ولكنني لم أدِر كيف تصيب
شراك الهوى؛ إن الفضاء رحيب
يَطلُّ بك عيش بالشقاء خضيب
أروح ومالي فكرة وأُؤوب
جننت جنون اليمِّ وهو غضوب
وتلك ظنون برقهن خلوب
رجاء فما بين الغصون رطيب
وقد ذبْتُ مثل الشمع وهو لهيب
فلُح لي فقد أدجى السماء مغيب
وفيم ارتداد الطرف وهو طيب
وتكره أن يصبو إليك أديب
يرد إليّ العيش وهو خصيب
فإنني من خطب الجنون قريب
فإن حياة اليأس ليس تطيب

ألا ليت شعري فيك هل أنت ذاكري
ويا ليت شعري هل تزورن مرة
لقد طال تحناني إليك ولهفتي
بلى كل حب ليس يخلو من الجوى
لقد كنت أدري أن للحب أسهمًا
نشدتكِ يا طير القلوب تجنبي
فإنكِ إن تحدق بكن شراكه
لقد كنتُ حرًا مثلكن ممتعًا
فلله أيام إذا ما ادكرتها
تحدثني الأحلام أنك مسعدي
وكيف وقد جفت حياتي وصوّح الـ
ذبلت ذبول الزهر أخطأه الحيا
فيا نور عيشي إن في القلب ظلمة
ويا نور عيشي فيم صدك والقلبي
ويا طير حبي هل تخاف ودادتي
ويا طير حبي إن لحناً تقوله
دمي في عروقي ليس يهدا فأنجني
وإلا فصب السم في الكأس واسقني

ألحان بنات البحر

انظر إلى عبابي وصدره الرحيب
ورقصه العجاف وشدوه الخلوب
وحوره الطراب وحسنها الرطيب
تدعوك للتصابي يا غرض الخطوب

في جوفه الرحيب
هل من فتى لبیب موفّق سعيد
قد ضاق بالخطوب ذرعاً وبالوجود
يفوز في شعوبي باللؤلؤ المنضود
هل من فتى سعيد؟

يمرح في الظلام مع الحسان الحور
محسورة اللثام مهدولة الشعور
كأنها أحلامي أو صورة الحرير
تشدو إلى الأفهام بالنغم النضير
تفرح بالغرام كالروض بالغدير
والبحر بالصخور

البحر والظلام

بنات الدجى هذا الذي لم يزل له
أناخ على الدنيا الظلامُ بكلِّ
وأغمض أجفان النجوم بكرها
لها لغط مستهول الوقع مُزئدٌ
يغادر سَوَّار الخيال مرَنَقًا
فيا لك من ليل بهيم كأنه
ويا لك من ريح كأن زفيفها
ويا لك من بحر كأن ضجيجه
أحقت على الأرضين لعنة ربها
وإلا فما لليل مرًا كأنني
فليست تُحسُّ العين إلا حنادسًا
ولا الأذن إلا ما تقص رياحه
فيضحك منها ساخرًا غير أنه
ورائي وقدامي وفي القلب ظلمة
ومهوئى سحيق الغور من تحت أخمصي
يرد غرام الريح حتى يعيدها
وتصدمه الأمواج في وثباتها
لها زأرة الآساد إن هي أقلت

فؤادٌ يناجيكن عن كل نائمٍ
وأغرقها في زاهر متلاطم
وأطلق أشباحًا كحيرى الأراقم
يجاوبه يَمُّ رهيب الهماهم
يئن من الإعياء أن الكوالم
حداد السماوات على نسل آدم
نواقيس دقت للمنايا الهواجم
صراخ اليتامى في وجوه المآتم
فصب عليها سخطه غير راحم؟
بقبة قبر حافل بالرمائم
تضيء مجالي هوله المتفاقم
على الموج في هبّاتهن الغواشم
إذا جلدته ثار ثورة ظالم
فكيف فراري من ظلام ملازمي
يحلل من بأس القوي الضُّبارم
تلوذ بأناف الصخور القدائم
فترفض عنه كالغمام السواجم
وخشخشة الأشجار عند الهزائم

ديوان المازني

جحيم من الأمواه يغلي عبابه ويعوي عواء الذئب بين المخارم
ويزبد كالمجهود حتى كأنما أشابته أحداث الليالي الظوالم

في المناجاة

يهتاجه الشوق من بادٍ ومكنونٍ
يطغى وآونة يهدا إلى حين
بالغيم عجرفة الهوج المجانين
فذاك سخر أسَى في القلب مدفون
فبات نهزة خوف غير مأمون
سوى قنوط طرير الغرب مسنون
لكنه مطلقٌ جد مدجون
وهمس يأس كألحان الشياطين
كظته مثل شظيَّات البراكين
كأن في كل عضو نصل سكين
أو قام ناجاه همٌ غير مظنون

الله في كلف الأحشاء مفتون
يقوى ويضعف كالآذني آونة
يمزق الشوق أحشاه كما فتكت
مقطَّب فإذا ما افتر عابسه
قد طارد القلق المضني سكينته
باع الرجاء ولم يبتع به بدلاً
في صدره من زمان الصيف وقده
حنادسٌ كظلام الموت باردة
ماضيه أسحم مرهوب وحاضره
يستقطر الألم الدامي مساربه
إن نام نَغصت الأحلام رقده

* * *

أو يحفل السهم إن أصمى بمطعون
ما ضاق عن بعضه شرحي وتبييني
إلى الذي ليس يدري ما يُعني
برق يضيء له قلبي ويبديني

هيهات يحنو على قلبي معذبه
وددت لو لان لي لفظ فأودعه
أستحمل الريح معناه لتنهيَه
إذاً لفاجأه من حيث يأمنه

* * *

لا يخصب الظن في جذب الزمان ولا
ولا تهش فراديس الجمال إلى
ألفتُ شجويَ حتى صرت أحسب في
قوتي همومي، على أن الفؤاد لها
أبكي حياتي في الدنيا وأندبها
لو كان يجري الهوى كالنهر مطرًا
أو كان في الحب هلكٌ لاغتبطت به
يكوي الفؤاد ويشفيه ليكويه
هذي الجحيم التي قد حدثوك بها

يضوع في قفره عرفُ الرياحين
نار الجوى وجراحات المساكين
غير التلهف أخلاقًا تنافيني
قوت، فدأبي أُفنيها وتُفنيني
من ذا عساه إذا ما مت يبكيني
لكنه البحر يغريني ليردني
لكن لأمر رهيب ما يباقيني
عودًا لبدء ويخليني ليشجوني
يا رحمة الله آوي كل مفتون

الماضي الحي

في ظله وكللنا ضاحك الجذل
وقد رأني عن السمار في شغل
كسك من صنعة الأشجان والغلل
فإن شعرك سحر نافذ العمل
وجوه ليلتنا عن غرة الأمل
فاشرب وهات اسقنيها غير محتفل
لأوسعنك تأديباً عن الزلل!
سقانيَ الشهد في أيامنا الأول

ما أنسَ لا أنسَ أياماً نعمت بها
وقوله لي في دل ومعتبة
يا قاتل الله وسواس الغرام وما
أنصب حباثك اللاتي عُرفت بها
ماذا تريد بإطراق وقد ضحكت
هذا الشراب وهذي الكأس مترعة
أما نهيتك عن هذا؟ أما وأبي
نفسي فداؤك من جافٍ كلفت به

* * *

بلا نجوم ولا بدر ولا شعل
يحدونيَ الشوق حدواً غير ذي مهل
إلا الحديث وما أنتم ذوي بخل
حديث قلبيَ منحولاً إلى الأول
عنهم أقول له في غير ما وجل
عفاً وما لي بهذا الحب من قبل
لكن نصيباه من فهم ومن خجل
أو أنت تلهو بأصناف من الخطل
مما دهاني من الأوجاع والعلل

وليلة كظلام اليأس طاخية
مضيت فيها إليه غير متئد
وقلت إنني ضيف لا يريد قرى
وظلُّتُ أروي خرافات وأسمعه
وسرَّني أنني فيما رويت له
إنني أحبك حباً طاغياً فزعاً
وليس فدماً ولا غراً فأخذه
فقال ويحك إما أنت مختبل
فقلت لم تخط بي خبل وبني عبث

وفي الفؤاد ضرام لا دخان له
وفي العروق سموم لا طبيب لها
فلا يغرُّكَ ضحكي حين تبصرني
والمرء يضحك من يأس ومن جذل
كم همَّ قلبي بإفصاحٍ ولم يقلِ
صب الزمان بقلبي النار سائلة
فإن تطق فأسل دمعاً شقيت به
فلم يطق وبكى عني فوا حزني

* * *

إني لأذكر يوماً صالحاً معه
والشمس جانحة حتى لتحسبها
والنيل يجري كما تجري لغايتنا
فقلت ألهو به، والجد متعبة
لقد سبت قبلك الشمس التي غربت
ألسنت تعلم أن الشمس زوجته
فقال لا تهذي يا هذا لتضحكنا
أما تزال فتنيَّ العقل طائشه
أما يجلُّ حديث عن مهازلة
فقلت والله ما إن أفترى كذباً
سل عنهما صادة الأسماك هل سمعوا
وربما هاجه صيفاً تلكؤها
وظلَّت أضحك منه وهو ينهرني
ليت المحبين مثل الشمس كلهم

* * *

ويوم قلت له والسن ضاحكة
أزمنت عنك رحيلاً لا إياب له
فقلت بشري، ولكني على سفر
والعين شاخصة والقلب في ثكل
فقال بل أنت ظل غير منتقل
من ذا أقام كنجم القطب لم يحل

فقال أَلَشَّام؟ قلت الشَّام فاتنَةٌ
لكنَّنني لست طيَّاشًا ولا رهقًا
فقال بئس لعمرى أنت من دَعِب
فقلت ويحيَ إني لا أريد ردى
وفي الشَّام لحاظ لا أمان لها
لكن تأمل نجوم الليل قاطبة
أظنه ضلَّ بين الشهب غايته

* * *

يا معرضًا أنت نجمي غبت عن نظري
وأنت في العين أنوارٌ ملمعة
وأنت تاج خلود لي أتية به
وأنت بالليل حلم غير منقطع
وأنت جبريل توحى لي وأنظم ما
وأنت فينا نبيُّ الحسن لا كذبًا
إن كنت فكَرَّت في هجر وفي بعد
لا يخدعَنَّك حسن أنت لابسَه
يا زهرة الحسن لا يخدعُكِ رونقها
إن الندى لحياة الزهر يضربه
فصن جمالك إمَّا شئت في كلل
ليس اختياريًا رضانا ما يكلفنا

وما ضللتَ ولكن شيمة الملل
وأنت في القلب برد العارض الهطل
وقد غنيت عن النُسرين والنفل
وأنت في الصبح عزم غير متصل
توحيه من غرر الآيات والجمال
وللهوى مرسل من أفصح الرسل
فأنت في القلب ثاوٍ غير مرتحل
فلا بس الحلي في الدنيا إلى عطل
إن الربيع قصير العمر والأجل
والحب للحسن طلٌّ ليس بالوشل
وادفنه إن شئت في قبر من الجهل
صرَّف الغرام فلا تكثر من العذل

فلسفة الحب

لا تدعني فريسة التسهيد
نظر منك ليس بالمردود
فاغتنم ظل حبنا الموجود
د وعدل في الروض شم الورود
لم تجل فيه أعين المعمود
حب في نظرة المحب الودود
فأغثنني بوبل حسن برود
فحياتي في غير هذا الخمود
ثورة الريح وانتفاء الركود
ن على فرع غصنها الأملود
قلوب عطفًا على رقاق الخدود
ويدي فوق حسننها المعبود
ر على الدهر ذات حسن جديد
ن خلودًا في الأرض غير بعيد
ب وأحلى إيماءه في وعيد
طائرًا ما يقر كالمزود
ضامن أن يموت جد سعيد

يا حبيبي وأنت جم الهجود
إن دائي الهوى وإن دوائي
كل شيء إلى فناء حبيبي
إنما الحسن روضة جمة الور
ما ترى لذة الجمال إذا ما
لذة الصب في الحبيب ونعمى الـ
أيبست وقدة الحياة ضلوعي
وأثر في الفؤاد نارًا تلظى
أنا كالموج ليس يحييه إلا
أنت للعين وردة بضة الحس
كلما صافحت لحاظي دق الـ
وتشوّقت أن أصلي لربي
داعيًا أن تظل رفاة الثغ
في أمان من المخاوف لو أ
ما أحلى بنانك الرخص يا حـ
أهوه اليوم نحو قلبي وقل يا
قر بين الضلوع واسكن، وإنني

الصدق في الكذب

(قيلت ردًا على قصيدة كتب بها إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندي محمود العقاد
بعد أن اطلع على القصيدة السالفة.)

يا صديقي فعذِّ لماضي العهد	لذة العيش في مدامٍ رخد
ض شياطينه فتنكر قصدي	لستُ إبليس يا صديقي ولا بعـ
شم وردٍ بها وتقبيل ورد	لكن الحسنُ روضةً وسبيلي
فمتى حلتَ أو تغيَّرت بعدي	وقديمًا كانت سبيلك هذي
ووجدت الغرام جنَّات خلد	قد وجدتُ الخلوَّ صحراء قفراً
س من السعد سورةً للوجد	هيئُ جنُب ما تفوز به النفـ

* * *

ناسيًا عهدَ غير ذاكر عهدي	لا تلمني أني أنقل قلبي
ب بعاذٌ على جفاء وصد	إن خيرًا من التصنع في القر
مثل ضدين يدنوان لرد	ضمنَّا الود فاتصلنا وعدنا
د سوى زورة على غير ود	لم يدع بيننا الجفاء ولا البعـ
ب على كل ذي جمال بجلد	ضعف القلب عن هواه وما القـ
يا أخي أو تمهلاً عند حد	سنَّة الله لا تجيز وقوفًا
بعدها ناقصًا لطلعة سعد	يكمل البدر ليلة وتراه

* * *

لا لَعًا للذي كبا بي في الحـ
قد تصابيت فاعذروا أو فلووموا
وتداويت من غرام ملول
مسكري إن شربت منه بلحظي
إن أخس القديم حظي فهذا
وحديثي نفسي بأن سوف يُنسيـ
سبّ وأهلاً بحبيّ المستجد
ليس شيء على الغرام بمجد
بهوى مُسعد على العيش نجد
بشهّي من خمر خديه صرد
مجزلٌ قسمتي ومورٍ زندي
نني شقائي بما يؤاتي ويسدي

* * *

لا تصدق مقالتي يا صديقي
أنا من مصر في فلاة وإن كا
لابساً ثوب وحشة لا أرى الأخـ
دائم الصمت مفرد الرأي والفكـ
مقبلاً مدبراً كما حار في الصحـ
عالمًا أن كل يوم سيأتيـ
وسفاهًا أرى فراري مما
تلك حالي على الحقيقة لا ما
عبثُ كلها الحياة وزور
واغتفر كذبة على غير عمد
نت رياضاً أعالج العيش وحدي
حلاق يبلى من خلقها المسود
رة لا أنقي الهموم بحد
راء من ضل عن طريق الرشـ
نني بأمر خافي المعارف نكد
هو حتمٌ ما إن له من مرد
أُتسلّى به من الزور جهدي
ومحال وباطل ليس يجدي

القطيعة

فليس لما بيني وبينك آخر
على حين حَفَّتْ بي الحقود النوائر
رضيت بما تقضي به وهو جائر
أَنْزَهَ قلبي أَنْ يرى وهو صاغر
وإنِّي بالعقل السليم لهاجر
وجفَّ هوانًا بعد إذ هو ناضر
عهدًا تبكَّيها القلوب الذواكر
ديونٌ على من ضاءه منك ناظر
فكلُّ تعفُّيه الليالي الدوائر
وَأَنَّ العيون الزهر يومًا غوائر
وتُغْضَى غَدًا عنك اللحاظ الغوادر
وباخ ضياءً في المحاجر باهر
ويطلب أن تصبو وهن نوافر
فليتك مثلي إن تقاضاك صابر
علينا ولكني على ذاك شاكر
وأهون بما منه لدينا نظائر
وليس لما يطوي زمانك ناشر
فهل لي من تلك الجناية عاذر

تناءت على قرب الديار السرائرُ
لقد كان ظني أَنَّ لي منك وامقًا
فلما بدت لي نفرةُ الغدر منكُم
فلا تعذلونني في الجفاء فإنني
هويتك بالقلب البريء من الحجا
تقلَّصَ ظل الحب بعد امتداده
أحالاته أخلاقُ العقوق وغدره
كأن الجوى واليأس والسهد والضنى
على أنه سيان كربٌ وفرحة
ستعلم أن الحسن ليس بدائم
ويصرف عنك الشيقون قلوبهم
كأنني بهذا الحسن قد جف ماؤه
يحاول أن يسبي القلوب كعهده
ستبصرني جلدًا على الدهر عارفًا
وليتك إذ هُنا على القلب لم يهن
فإن تنحرف فالحسن جم وجوده
طوى الدهر ما بيني وبينك من هوى
وما ندمي إلا على كلفي بكم

نبذتك نبذ النعل رثاً أديمها
 إذا ما أراد الله بالمرء رحمة
 لقد حاطت الأقدار نفسي من الذي
 رويدك لا يهلك جهلك إنني
 وإنني لصلُّ لينَ مسٍّ وإن لي
 وحسبك إمّا شئتُ ضرك شرُّ
 ولكنني أغضيتُ عنك تكرماً
 فرُحُ غانماً بالصفح ممن إذا رمى
 ومن عجب تأبى النسيب ضلالة
 فيا ليت شعري والعجائب جمّة
 أغرّك مني أنني أظهر الهوى؟
 فرُحت تبثُّ الناس أخبار صبوتي
 رويدك لا تجعل هواي ذريعة
 فجرتَ عيونَ الدمع فابك بأربع
 أدرتَ رحي حرب عليك — طحينها
 وقل يرحم الله السكينة والمنى

وإنني على أمثال ذاك لقادر
 فسهم الأذى عن مرشق الحظ جائر
 تأكيد وقد دارت عليك الدوائر
 رضيٌّ ولكنّي على الشر قادر
 لأنياب سوء ساندتها أظافر
 يباديك منها حيثما كنت ناجر
 وإن كثرت أوزاركم والجرائر
 فلا تجبر الأيام ما هو كاسر
 وما ذاك للأحرار غيرك ضائر
 أيرضيك أن يُغرى بذك شاعر؟
 أبى الزهو أن يبقى بعشك طائر؟
 وتزعم أني عاشق وتُفاخر
 لشيء ترجّيه كأنك تاجر
 على حين يفتّر العدو المناكر
 عفافك — فانظر أي خطب تحاذر
 وخفضاً وريقاً أعجلته المقادر

الريح والخسارة

أهواك والحب داءٌ أيما داءٍ
خلقتُ للحسن عبّادًا وأواجهه
يا ليت أني أعمى لا دليل له
عينَيَّ عينيَّ لا بوركتما أبدًا
ولو عميتُ إذا لاشتقت نوركما
يا مسبلاً حوله أذيال لألاء
كعابد الشمس في صبح وإمساء
أو ليت ما في الورى ما يفتن الرائي
أطفتما بالحشا أنياب رقشاء
بقلب راع وفيّ غير نساء

* * *

أهبتُ وهنًا بذكراكم فما عبأت
وسلمتني إلى الآمال قائلة
ما لي وللزمن الآنـي وأقربه
سلني إذا شئت عن ماضيك مبتدئًا
عند الأمانـي ما تبغي فإن لها
قد استوت فوق عرش الوهم حاكمة
وما لها دون راجي عرفها حجب
من لا تكلفه شيئًا عوارفه
وخلفتني على الأجداث أحرسها
فليس يذكرني إلا أخو عدم
والمرء ما بيننا حيران مضطرب
هذي تضاحكه طورًا وتخدعه
شيئًا بصبّ بجنح الليل دعاء
عني إلى أمل للروح غداء
مني إذا استثبتت عيناني كاللاء
أروّ قلبك منه أي إرواء
عينًا موگلة بالمقبل النائي
مثل المقادير في منح وإكداء
ولا مطال ولا إعراض أباء
فليس يبخل عن بذل وإيتاء
كالكلب يحرس ليلاً عزّ أحياء
قد صار من ظنه في جذب صحراء
من لهو وهمٍ إلى أشباح جوفاء
وتلك تبكيه في صبح وإمساء

قد أوسعتكم بني حواء عيشتكم وطول غفلتكم من كل إزراء

* * *

أين الحقيقة؟ الأمارس موطنها؟
ماضي حياتي أحلام ومقبلها
كم حدثتني نفسي وهي باكية
وأذكرتني أياماً مسلسلّة
حيث الزمان ربيع والهوى أنفُ
تُجنى الكرومُ إذا أنتَ مقاطفها
يجري النسيم بأنفاس الورود كما
يا حبذا عرفها والريح ساجية
والنيل أجراه مجريه للذتنا
مطرزُ بنجوم الليل قاطبة
أطنا به حُفل الأثمار يانعة
خمرى الحسان ولا حسنٌ كحسنهم
غبوقنا بين أغصان مهدّلة
إذا نشاء احتسيناها مصفقة
أو لم نشأ لم نبع بالسكر لذتنا
فأين أين ليالي التي سلفت
لا تدرك النفس منها حين تطلبها
أضحت حياتي ربّعاً مقفراً خرباً
يا سوء منقلب عن حسن مختبر

* * *

بقيت يا كوكب الأيام مؤتلفاً
ويا ربيع الهوى لا زلت في حلل
تنضو وتلبس أفواهاً محبرة
فأنت لي ولأمالي وإن بعدت
اقرأ كلامي وابسم حين تقرؤه
يزيدك الدهر ضوءاً فوق أضواء
خضر تباكرها سحبٌ بأنداء
مستبدلاً جُددًا من بعد أنضاء
قوس الغمائم في آفاق غمائي
وإن يكن لك تحبيرى وإنشائي

ولا تُرْعَ لدموع بتُّ أنظمها
ولستُ فاعلم أرجي منك مرحمة
أحبكم ولو أني أستطيع إذا
كما تبدّلني من صحتي ألماً
قد كنتُ أطرب للدنيا ويعجبني
وكان يفتنني تهديلاً ورقاء
فالآن قد صوّح الغصن الذي صدحت
وصرت لا شيء في الدنيا أسراً به
وصرت أنكر أيامي وينكرني
إذا سمعتُ لريح الليل زمزمة
كالبحر نفسي لا مأوى ولا سكن
أقول في الصيف ويلي من سمائمه
تمضي الليالي ولكن لا أحس لها
فلا ندَى فوق خد الزهر يلثمه
قد مات مثلي إلا صورة ثبتت
خطَّ اسمها الدهر في قيد الردى فغدت
كأنما الشجر المخضر في نظري
وللنجوم بريق لا أفرقه
في أبحر من زجاج لا بهاء لها
حتى النهار وحتى الشمس أنكرها
طردت في الأرض من فردوس نعمائي
فما أطيق نعيماً إن ظفرت به
أخاف حسنك يوماً أن يذكرني
تغلغل السهم في قلبي فإن نزعت
هذي حياتي فقل لي كيف أندبها

وإن تكن عن ضرام بين أحنائي
يندى لها القلب في أعقاب رمضاء
بدلتكم بالهوى والحب بغضائي
مرّاً وتوسعني من كل ضراء
في رونق الحسن ماءً ليس كالماء
تسمو إلى الغصن أو تهزيج حسناء
عليه أطيّارُ نفسي يوم نعمائي
ولا يفرّعنني دهري بأرزاء
صفو اللذات من قصف وإصباء
حسبتها نادباً ألحان سرائي
ولا قرار لها من فرط ضوضاء
وفي الشتاء ألا بعداً لمشتائي
ما كنت أعهد من نور وظلماء
ولا يفوح له مسكي بوغاء
نفس قضت وهي في جثمان أحياء
لا تنفع الناس إلا يوم إحصاء
إذا دلفت له عيدان قصباء
عن لحظ ميّنة حسناء عذراء
ما بين سوداء أو خضراء زرقاء
كأن في نورها ديدان غبراء
طرّد التي غرّرت قدماً بحواء
بعد الذي بُرّ عني يوم إثرائي
عهداً مضى فيُهيّج الذكر سودائي
كفّ قضيتُ فدع سهمي بأحشائي
قد جلّ ما بي عن سلوى وتأساء

* * *

لكل شيء سكونٌ بعد فورته وكل عين إلى غمض وإغفاء

ديوان المازني

ألا ترى اليمَّ تطغى فيه موجته تَقْطُوعُ القلب من هم وبأساء
حتى إذا بلغت مجهودها فنيت من بعد جلجلة منها وضواء
كذاك للنفس في بحر الردى سكن تلفى به راحة من بعد إعياء

ظماً النفس إلى المعرفة

أخو مغرق الأرضين بالفيضان
وأرصد ما راعاه قبل زماني
تلاقى على ألحاظه القمران
بهن دنأ خفاقة اللمعان
ليشرد في الدنيا بغير عنان
وقد جهدته حدة الطيران
ومأرب قلبي ذلكم وجناني
وكل شهاب لامع الخفقان
ضمومٌ على السر المغيَّب حاني
وهيض جناحاه من النهضان
تئن من الإسفاف والشولان
وطول جمامٍ رافه وليان
ولا تجتلي في الناس أي هوان
سوى أفق دان وليس بدان
يُضوى كأضلاع عليّ حوان

أحسُّ كأن الدهرَ عمري وأنني
أقلَّب طرفي في السماء كطرفه
كلانا على بُعد المسافة بيننا
وأقرأ في صحف السماوات أسطرًا
تخذتُ فضاء الله مثوىً لخاطري
يمر به مرَّ البروق وينثني
أعالج سرًّا لا يماط حجابهِ
وسعتُ لغات الريح والبحر خبرةً
ولكنه ما خير علمي وكلها
سئمتُ شروءَ الفكر في غامض الفضاء
وعادت إليَّ النفس مهدودة القوى
تحن إلى ظلٍّ من الرخو وارف
ومن لي بأن لا ترفع العينُ لحظها
غرضتُ بملك واسع لا يحده
أروني قيدًا يُعرق الجسمَ مسَّه

على لسان الأقدار

بأيدينا قلوبكم	لنا منها ألعيبُ
وفينا الخير موجود	ومنا الشر مجلوب
وما عن صرفنا معدى	ولا في الأرض محجوب
نصرّف أمر دنياكم	بما فيه الأعاجيب
ولو شئنا لكان النصـ	ف لكن فيه تصعيب

الأقدار

فلبَّتَنِي الأقدار وهي غضاب
وأُنك ظفر للزمان وناب
على الصبر والشكر الجزيل عذاب
وللظلم فيه زخرة وعباب
حشاشته للحادثات نهاب
وذي أُرْبَةٍ قد ضاع منه صواب
فسالت عليهم بالبلاء شعاب
لهم في فكاك المرهقين طلاب
وما دوننا لو تعلمين حجاب
وعلم الفتى بالحادثات عقاب
ولم يغنِ منه عندكن متاب
ومن أين علمي أَنَّ ذاك صواب
يكون رحيماً؟ طاش ثم حساب
بنو من أتى ما ليس فيه معاب
على رحمة الأقدار وهي كذاب

دعوت بنات الليل في أخرياته
وإني لأُدري أنكن ظوالم
وَأَنَّ الورى عبدانكن جزاؤهم
ألا ربَّ مُلْكٍ قد أقمتن ضلة
وكم وادع وثَّبتَه وتركته
ومنتصف أندمتَه بعد حفزه
وفدم غبي قد رفعت على الورى
وألجمتِ أفواه الأباة لأنهم
فعني فإني قد وسعتك خبرة
ولكنه ما ينفع المرء علمه
عفا الله عن جدِّ شقينَا بذنبه
يقولون في الأقدار عدل ورحمة
أمن أجل أن المرء أقدر قادر
بني آدم ذوقوا النكال لأنكم
ولا تفتنُّوا تننون بالمين والهوى

شفاعة الحب

ألا زورة تروي الغليل وتنقع
وتبرئه إني من الوجد موجد
ألا حال لي إلا الأسى والتفجع
فؤادي وبالعقل الذي ليس يرجع
ويثني إلى الطرف بالدم يدمع
وباليأس والنفس التي ليس تطمع
وبالأمل الذاتي الذي ليس ينفع
وأخرستَ عذلاً لهم فيك مطمع
إذا ما دعاك الشيقُ الصب تسمع
وأنت له حالٍ من الروض ممرع
بقربك إن القرب لليأس مصرع
فمرني أمت إني لما اخترت طيع
وإن أسقمت أشفى لدائي وأنجع
لأشرب فيها قبله حين أكرع

ألا ليت شعري هل لما فات مرجع
ألا سلوة تشفي الفؤاد من الجوى
ألا لب لي إلا تجلده برهة
نشدتك بالحسن الذي راع سحره
يمين يطير اللب عند سماعها
وبالدم يغلي في عروقي وبالجوى
وبالشجن المضني وبالسهد والأسى
وبالحب إلا ما كبت حواسدي
وعدت إلى العهد الحميد، لو أنه
ولا تك مبكى للفؤاد ومجزعاً
أرى ورق الآمال يذوى فَرَوُه
ومرني إذا ما شئت أحياء وإن تشأ
ألا واسقني خمراً بعينك إنها
وإلا فقبّل كأس خمر وعاطني

مراجعة الحب

أخبتُ بعيش على الحالين مذموم
أأنفض اليوم منها كف محروم؟
دون الضلوع وجيبًا غير مسئول
إلا عصاه وسمع غير معصوم
وأنت تأبى سوى ظلم وتجذيم
تجفون حتى يثير الظلم منظومي
لا رفق فيه ولا يصغي لمظلوم
وهل على الدهر ناج غير محطوم
لا بد لي منك مثل الماء للهيم
وتشرق الشمس في أحناء حيزومي
فداؤه باقتراب غير مفصوم
شرابي المهل في بستان زقوم

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة
يا درة غصتُ في لجج الحياة لها
ما لي على الحب مسئولًا ألا رحموا
ما لي كأني أعمى لا دليل له
نفسى تأبى لكم إلا طواعية
أحبكم و«تحبوني» فما لكم
إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف
يأتي الزمان على حبي وحسنكم
كن كيف شئت وفيًا أو أخا ملل
فعُدْ إليّ يَعدُ للعيش رونقه
أنت الطبيب لداٍ قد بُليت به
وذاك أحسن من ليل لبثت به

لا ملام ولا عتاب

ألومك لو أرى لوميك يجدي
وإن مزايل الصحب اختصارًا
دعوتك لا إلى الرعيا ولكن
وإني من يرد عليك ودي
فقم صافق على التوديع كفي
وإن هزتك عاطفة إلينا
فلا تأكل على ودي بنانًا
وإن شعب الزمان لنا انصداعًا
وقدرت المقادير اجتماعًا
فلا تظهر لهذا الناس أنا
ولا تدع العيون إذا تلاقى
ومد إليّ كفك في فتور
ولا تعبس ولا تبسم للقاء
لقد أودى الهوى أو كاد منا
وجاد بنفسه أو كاد لولا
فإن تدرّكه لا يهلك ويحيا

ولكن لا ملام ولا عتابا
لصنو للذي صبر احتسابا
إلى نأى يماطلنا الإيابا
إذا أركبته الشوس الصعابا
كما صافقتني تبغي اقترابا
وجاذبك الحنين لنا جذابا
ولا تقرر على ما فات نابا
على كرهى وكرهك الانشعابا
على إيثار كلّ الاغترابا
قديمًا قد تلبسنا صحابا
تمزق عن تجاهلنا الحجابا
كأنك حاملٌ فيها هضابا
سألناها وأحتقب الثوابا
ولا عطفًا ولا رفقًا أصابا
وفاء لا يحب له الترابا
وإلا لا ملام ولا عتابا

العاشق المعشوق

وَأَنْ تَعْرِفَ الْوَسْوَاسَ كَيْفَ يَكُونُ
كَأَنَّكَ بِالْقَلْبِ الشَّجِي ضَنِينَ
تَسْهَدُكَ الْأَشْجَانُ وَهِيَ جَنُونُ
وَنَهْنَهْتَ غَرْبَ الدَّمْعِ وَهُوَ خُتُونُ
هُوَ أَصْغَى وَالْحَدِيثُ شَجُونُ
عَلَى الصَّخْرِ سَيْلٌ مَا حَوَاهُ وَجِينُ
تَطَاوَلُ لَوْ أَنَّ الزَّمَانَ يَعْجِنُ
وَلَكِنْ هَمِي فِي الْفَوَادِ دَفِينُ
زَمَانًا وَفِي غَصْنِ الشَّبِيبَةِ لِينُ
بَرِئْتُ وَلَكِنْ الشَّقَاءُ فَنُونُ
لَقِيتُ وَلَكِنْ الْفَوَادِ ضَمِينُ
أَرْقُهُمَا لَكِنْ أَخَافُ أَبِينُ
وَلَكِنْ قَلْبِي يَا سَمِيرَ طَعِينُ
وَلَكِنْ سَرِي فِي الضَّلُوعِ حَصِينُ
وَلَا كُلَّ جَرَحٍ إِنْ نَكَاتَ يَهُونُ
فَوَادِي اسْتَهْلَتْ بِالْدمُوعِ شَتُونُ
وَلِي مِنْ غَلِيلِي زَفْرَةٌ وَأَنْبِينُ
فَمَا لَشَجُونِي الثَّائِرَاتُ سَكُونُ

أَعِيْذُكَ أَنْ تَمْنَى بِتَبْرِيحِ لَوْعَةٍ
وَيَحْزَنْنِي أَنْ تَسْنُدَ الْقَلْبَ رَاحَةٍ
وَيُؤْلِمْنِي أَنْ تَقْطَعَ اللَّيْلَ سَاهِرًا
إِذَا هَزَكَ الشُّوقُ اضْطَرَبْتُ وَلَمْ تَفْهَ
وَلَيْلُ سَهْرِنَاهُ سَمِيرِينَ تَشْتَكِي
تَمَرُ بِنَا السَّاعَاتُ تَعْدُو كَمَا عَدَا
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ قَصِيرٍ وَلَيْتَهُ
وَيَا لَيْتَنِي الشَّاكِي وَلَيْتَكَ سَامِعِي
أُذْعَتُ لَنَا سِرًّا شَقِينَا بِمِثْلِهِ
فِيَا لَيْتَنِي لِمَا ذَوَى الْعُودِ وَانْحَنَى
إِذَا شَتَّتْ رَوَيْتُ الْمَسَامِعَ بِالَّذِي
وَكُنْتُ، وَقَدْ بَتْنَا سَمِيرِينَ فِي الدَّجَى،
وَلَوْ شَتَّتْ أَطْرَبْتُ الصَّحَابَ عَشِيَّةَ
وَمَنْ لِي بِأَنْ تَشْتَاقَ مَا أَنَا كَاتِمُ
وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الشَّبَابِ حَمِيدَةٌ
إِذَا مَا تَحْدَى الشُّوقُ يَوْمًا لَمَّا مَضَى
أَسَاكَتُ هَذَا النَّاسَ وَالْقَوْلُ حَاضِرُ
أَنَامَ عَلَى سَرِي وَوَجَدِي سَاهِرُ

كلانا إذا يا خلُّ ضامن لوعة
كلانا محب ليس يدري حبيبته
كلانا له داء يداويه بالمنى
كلانا احتسى كأس الغرام بكرهه
ولكنني شر الرفيقين قسمة
شبابك ريان وروضك ضاحك
ولكنني ماذا أرجي ولم يدع
ثقلت بأعباء الهموم وهضنني
وما نظمي الأشعار إلا علالة
وما هي إلا برهة ثم ينتني
فصبرًا طويلًا إنما هي رقدة
وصبرًا جميلًا يا سمير ففي غد
تهيم بهذي ثم تسلو بغيرها
فوطن على السلوان نفسك إنني
ستعلم أن العيش حلم وأننا
وأننا كأهل الكهف نصحو وما نعي
كأن لم يمر السعد والنحس بالفتى
ويركد صرف الدهر حتى كأنما

وكلُّ على سر الفؤاد أمين
هواه وكلُّ يا سمير غبين
وهل تنفع الآمال وهي ظنون
وكلُّ عراه من هواه جنون
وأشقاها لولا تقول يمين
وأنت بتحقيق الرجاء قمين
لي الدهر إلا مهجة ستحين
مسالك عيش كلهن حزون
لو أن سلواً بالقريض يكون
يكر مضيض في الحشا وحنين
وتذهلني عما لقيت منون
تسليك عن سحر الجفون جفون
ويصبيك من بعد الجبين جبين
خبير بأدواء القلوب طبين
نيام ولو مد الرقاد سنون
فتيلًا ولو أن الرقاد قرون
ولا كر بيض في الزمان وجون
له أجل تعدو عليه منون

الإنسان والغرور

فإنك إنسان وجدك آدم
أتملك دفع الظلم والظلم لازم؟
مراميه حتى غدا وهو حاكم
ومن أجلكم تجري الغمام الروائم
تقرُّ بها الألباح وهي هوائهم
فيصبح منها حليكم والتمايم؟

أقم وادعًا واصبر على الضيم والأذى
وهبك على الدنيا سخطت وظلمها
بني آدم ما للغرور رمى بكم
تظنون أن الأرض قد بسطت لكم
وأن النجوم الزهر عُلِّقن زينةً
فما لكم لا تنظمون نثيرها

أشباح الماضي على جثة الأمس

١

أوشك الإصباح أن يمحو الدجى	ورفات الأمس لمّا تدفن
فاركبو الريح اركبوها ما عسى	صبرنا على النهار البين
إننا كالليل يفنينا الضحى	ثم نحيا في الظلام المدجن

٢

أمطروا الدمع عليه لا الندى	وانثروا الشعر عليه لا الزهور
وأجنّوه وإن كان صدى	فسحة الآباد لا ضيق القبور

٣

ألوحى قد كان مولود الصباح	ينسخ الليل بآيات فصاح
فاحملوا النعش وشقوا بالرياح	كبد الليل إلى قبر الأبد

سحر الحب

أيا ساعة مُلّيت فيها بحسنه
وإني لأدري أن في البعد راحة
ولكنني جربت قربك والنوى
ولا التذّ طعم القرب قلبي ولا النوى
وما أنا إلا كالمخادع نفسه
تمر بنا كالحلم قصر طوله
أأهواك أم أقلاك والله إنني
وإني لتعروني لمراك رجفة
وإني لتعروني لذكرك حنة
فأنت جحيمي في الحياة وجنتي
وأول شيء أنت يجري بخاطري
ملأت شعاب النفس حتى كظظتها
فوها على عهد السلو وطيبه
حقيبة شر ذلك الحب بئس ما
أراه على لذاته ونعيمه
وهل تُشتري اللذات إلا بضعفها
وما مطلبي سحر العيون كأنها
ولا نضرة الخد الأسيل كأنما

نشدتك إلا كَرَّ منك نظائر
لما تتصّبّاه العيون السواحر
فما قر لي بال ولا جف حاجر
ولا رقدت في الحاليتين الخواطر
وقد يخدع النفس الفتى وهو شاعر
لذاتته حتى كأنك طائر
لأجهل ما تطوى عليه الضمائر
كما انتفض المذعور والخطب فاغر
كما حنّ للأهل الغريب المسافر
وأنت عدوي والحبيب المؤازر
وأخر شيء أنت يُجريه خاطر
وأخليتها فالنفس صحراء غامر
ووها له ما أن أو حنّ ذاكر
تحمّلني في الحياة المقادر
يفاجئنا منه رميض وناعر
من الألم الدامي ومما نحاذر
— إذا لامحت عيني — النجوم الزواهر
غذته على الدهر الورود النواضر

تهياً للتقبيل والشوق ثائر
أريج وترديك الثغور الدوائر
فؤاداً أناجيهِ وعقلاً أسامر
وأفضي إليه بالأسى وأشاور
وظلت تشاكِيهِ الهوى وتسارر
ففي حيثما سرّحت طرفي مقابر
وأثرتهم بالود والقلب حائر
من الناس إلا من تضم الحفائر
ويخدعني منهم نصيح وماكر
تُشابه حالي حالهم وتناظر
أغثني وكن عوني إذا خان ناصر
وما امتلأت مما تحب النواظر
حجاز وقد سُدَّت عليّ المصادر
وكن لي فإنني صادق العهد شاكر
أليس لمن يقضي من الناس زائر؟

ولا الثغر إمّا يستدير كأنما
فقد يحرق اللحظ المضيء ويخنق الـ
ولكنما أبغي إذا ثار ثائري
وقلباً إليه أستريح بدُخلتي
كما خفقت يوماً على الزهر نحلة
قضيتُ حياتي بين آثار من مضوا
أولئك إخواني الذين اصطفتهم
فيا ببؤس للحي الذي لا يروقه
أخادع نفسي فيهم وأغشّها
وما لي شغل فيهم غير أنه
فيا زائراً أفديه بالنفس لو درى
وأدت حياتي في شبابي مكرها
ولكنما بيني وبين مواردِي
فعد لي فإنني لست أملك مذهبي
وهبني إذا ما شئت ميتاً تزوره

الشوكة الجديدة

يا وردة الحسن القديـ
كنا وكنيتِ فما عدلـ
قد كنت أهوى أن أرا
فيذودني شوك شرعـ
ظلمًا كما قتل الحسيـ
فالآن إذ ذهب الجما
وسلا الفؤاد فلا حنيـ
وارتدَّ طرفي عن ذرا
أدعى «العزیز المازنـ
ذهب الغرام مع الجما
ليس الخلود لذي الحيا
ويل لذي الحسن النضيـ
إما استزاد من الجما
كاد الزمان لكم كما
فاهنًا بشعر في الخدو
يا جاحدًا فضل الإلـ
اشكر له أن صرت ليد

م وشوكة القبح الجديد
ت ولا ظلمتك بالصدود
ك وأن أشمك كالورود
ت شباته دون الخدود
نَ على ظمَى جندُ اليزيد
ل وصوح الزمن الحميد
ن ولا بكاء ولا هجود
ك وأقصر الأمل المديد
ي» ولا ألام على القصيد
ل برغم قولي لا يبيد
ة بل الفناء هو الخلود
ر من الزمان وما يكيـ
ل أصاب في القبح المزيـ
كدم لذي القلب العميد
د كأنه السهم السديد
ه عليه ويحك من كنود
ثًا ساكنًا غاب الخدود

مخلوق الخيال

ولا أن بعدًا عن ذراك عسير
ولا أن سحرًا في العيون يمور
وأكثر ما تملي الظنون غرور
ولا كل ماء نافع وطهور
تدل بما منه النظير كثير
فتَمَّ شמוש غيره وبدور
وأنت لها دون الأنام نظير
ولا أن قربي منك فيه سرور
له دون أحناء الضلوع سفور
أنيس إذا عز الأنيس سمير
فإني على غدر الصحاب صبور
وذلك إفك لو علمت وزور
وكلُّ عليه الدائرات تدور
وتعفو كلوم للهوى وبثور
ويقفر من نور الوداد ضمير
وهاجت بصدري أنَّة وزفير
وتذهلني عما تثير دهور
إذا ما استرد العاريات معير

توددت لا أني إليك فقير
ولا تحسبنُ منحيك ودي لحاجة
رويدك ليس الحسن وقفًا عليكمُ
وما كل حسن يشعف القلب سحره
ولست بمعدوم النظير فتنتني
كذلك ليس البدر في الكون واحدًا
ولكنني مثَّلت للحسن صورة
فلا تحسبنُ أنِّي لبعدهم موجع
بحسبي حسنُ صورته خواطري
إذا استوحش القلب الكليم فإنه
فإن كنت قد فكرت في الهجر والقلبي
ستبقى لكم مني يد الدهر حنة
فكل نضير في الحياة إلى ذوى
ستنسني الأيام ما أنا واجد
وأنساه حتى لست أذكر ما اسمه
بلى ربما حن الفؤاد إليكمُ
ولكنها ذكرى تمر وتنقضي
كذلك تنسانا وتنسى غرامنا

ديوان المازني

ولكنَّ حسنًا بزَّ عنك نضير وأبدلت منه القبح وهو سطور
ستذكر هذا ما حييت وفي الحشا مضيض وفي القلب الكسير سكير

الشاعر المحتضر

كما مَزَّقَ الظِّلَّ الضياءُ أياديها
وخلَّفَن آثارًا لهن بواديا
منيتُهُ نادى الصفي المصافيا
بما كان يخفي من هوى ليس خافيا
كساها شأبيب الدموع الجواريا
وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
فلا بتَّ حران الجوانح صاديا
ويصبح داء العالمين دوائيا
وحصَّنته حتى رمى بي المراميا
وأقرب شيء أنت مثوى وثاويا
خليلاً من التبريح والوجد خاليا
أخا شغل يغري بصدى القوافيا
وموحي معانيه العذاب البواقيا
ولا نقتها إلا بطرف خيالها
وظلَّت تباريح النزاع كما هيا
وأفرغ في أذن الظلام شكاتها
ولكنَّ حالاتٍ لهن كحاليا
خرابٌ وواراه الضباب مثاليا

فتى مَزَّقَ الحب المبرح قلبه
قضى نحبه كالمزن فضنَّ مدامعاً
ولما دنا منه الحمام ورنَّقت
وكاشفه والعين ينهل ماؤها
وقال وضم الراحتين على يد
بقيتَ وبلغت الذي بت راجياً
سيسقي الردى قلبي عن الحسن سلوةً
ولا عجبٌ أن يطفئ الموت غلَّتِي
كتمتك حبي خشية الصد والقلَى
بعدت كماضي الأمس عني غاية
أضرَّ بي الكتمان حتى عددتني
كأنِّي لم أحمل هواك ولم أبت
كأن قريضي لم تكن أنت سره
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى
إذا لج بي شوقي قنيت حياتيا
نجيي الصخور الصمُّ أركب ظهرها
وما بي حب الصخر والريح والدجى
أرى في أديم الطود عاث برأسه الـ

مشابه تدريها القلوب صواليا
وكاد جمود الموت يصبي فؤاديا
لو أنّي إذا استأويته كان أويا
فيغشي أدانيه ويخطي الأعاليا
ظلال وتكسو الشمس منها النواصيا
وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا
إلى الظل وانظر نورها المتراميا
فؤادي وينسيني طويل عنائيا
ككأس الردى من علة العيش شافيا
لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا
أطلن عنائي فاجتويت مقاميا
وقولوا سقى الله القلوب الظواميا
بقيد الردى المحتوم إلا لسانيا
تخال مواميهنّ للجن واديا
وغدّي بذكراها الشجون النواميا
فقد كان يغشى مثلهن الفياfia
وما تحسن الجنان إلا التعاويا
قضى عاشق، أجلي، العيون الروانيا
سقتها دموع الحب لا الطل ساريا
وألوى بها عصف الرياح سوافيا
فعاش خيالاً بينهم مترائيا
حوائل ضعف أمرها ليس باديا
فكيف بأيام حملن لياليا
وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
على ساحل للعيش كم بات راغيا
ولكن غدا من حلم ذا العيش صاحيا
وحول سناء تلك المتلاليا

وفي الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى
إذا الليل واراني اطّرح الأمانيا
وما كنت أبى الموت سهلاً مذاقه
أرى الموت ظلّ العيش يبسط تحته
ألم تر للأشجار تمتد تحتها الـ
فإن تحتطب يوماً تولّ ظلالها
كذاك حياة الأفضلين فلا تلح
فيا مرحباً بالموت يثلج برده
تموت مع المرء الهموم ولن ترى
ولست على شيء بأس وإنني
وما طال عمري غير أن لواعجاً
أهاب بنا داعي الردى فترحموا
وقم ودّع الأرضين عني فإنني
وقل لجبال عاريات مخوفة
ألا أطلق لي صوته والأغانيا
ألم تع عنه جنّة عبقرية
وكيف تؤدي ما وعاه سماعها
وقل يا عيون الزهر غضي وأطريقي
لقد كان في روض الجمال خميلة
فأعطشتها حتى تصوّح عودها
لقد أفردته نفسه بين قومه
وما كان إلا قوة أهدقت بها
فعاد وما يسطيع حملاً لساعة
وما كان إلا كالسحابة أفردت
وما كان إلا موجة قد تحطمت
وما غاله موت ولا هاضه كرى
وما مات إلا الموت يا فجر فائتلق

ولا غاب إلا في الطبيعة أمه
فقوموا اسمعوا في هزمة الرعد صوته
وفي حيثما تبدو لنا القدرة التي
وقدمًا أعارته الضلوع الحوانيا
وفي سجة الغريد ما بات شاديا
دعته فلباها ولم يك عاصيا

* * *

أرى عينك اخضلت وعهدي بدمعها
لقد جل هذا الجفن عن عادة البكى
تعز ولا ترخص لموتي أدمعًا
سواء علينا إن طوتني حفرتي
بحسبي أني سوف ألقى حماميا
ولا تحسبوا أني قنعت تكرمًا
وردد أنفاسًا ترددن برهة
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه
فلما رأى برق الأمانى خلبا
رأى ما جناه حسنه ودلاله
عدتني العوادي لم تكن بي غباوة
سواسية من يقتل النفس عامدًا
لبست جمالًا من قريضك خالداً
وسوغتني من طيب ذكراك نفحة
لخلفتني عاري الجمال من التي
أعض على الماضي البنان تحسراً
لقد كنت أقسو هازلًا ولربما
فَبِئْسَتْ على طول التفرق رقة
ستبقى ويمضي من علقت وإن تمت
وأنت نور تستضيء به الدنيا
وأنت حُسن ليس يبلى وغيره
فيا آخذًا من دهره بنصيبه
وإني لأستسقيك كل دُجْنَة

عصيًا على ريب النوازل آبيا
وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
أباة على سوم الغرام غواليا
أبْغَيْتَنَا أم بات قلبك ساليا
وأنت إلى جنبي تراعي فنائيا
ولكن لأمر ما عقرت الأمانيا
وحشرجن حتى راح ما كان جائيا
ينادي مررًا لا يبالي المناديا
غدا يستجير الدمع ما كان جاريا
فقال أيا ويحي لقد صرت جانيا
ولكنني كنت امرأً متغابيا
ومن يدع التبريح يقتل ظاميا
ورحت وقد ألبستك الموت ضافيا
وسوغتك الآلام والدمع قانيا
تزين وكم أمسي وأصبح كاسيا
وهل ينفعني اليوم عض بنانيا
غدا الهزل بابًا للشقاء وداعيا
أُحس بها تذكي على الدهر ناريا
فقد يحجب الغيم النجوم الداريا
وغيرك ظلٌ سوف يصبح فانيا
وديعة دهر يسترد العواريا
هنيئًا لك المجد الذي ليس ذاويا
وإن كنت أخرى أن تبل فؤاديا

خواطر الظلام

أغرقتُ في بحر الأسى الأجدالا
ونزلت في وادي الهوى متفِيئًا
كسف الجوى شمس الحياة فأظلمت
عصفت بنا نوبُ الليالي عصفة
وتجايشت لججُ الزمان بصدرة
فرعيتُ من دهري زمانًا موبئًا
ولففت في أكفانها الآمالا
للموت ظلًا ينسخ الآجالا
وأعاد زاهر لجّها أوشالا
تركّت حياتي بعدها أطلالا
وتصوّبت سيلًا إلَيّ عضالا
يجني السموم ويُنبِت الأهوالا

* * *

يا شمس من يُحيي الليالي ساهرًا
يرخي الظلامُ سدوله فتعيّنه
ما أنت إلا كاللذات التي
ليضيئنا الماضي ولكن لا ترى
ما بال ضوئك باردًا جفّالا
وتُري العيون سواده القتّالا
جرّت عليها الأعصرُ الأذيالا
لشعاعه حرًّا ولا إشعالا

* * *

خلع الحمامُ على الظلام سكونه
وتكنّف الدنيا سكونُ ناطق
وكأنما هذي السماء تزيّنها
سترٌ على الأكوان أسدله الهوى
فكأنما همد الوجودُ كلالا
ملء الصدور مهابة وجلالا
زهَرُ النجوم الفاتنات جمالا
لمّا غفت وأفاضه سربالا
وأجلّ تصويرًا وأبدع حالا
خلق الإله الكونَ أروع منظرًا

وكسا وجوه الأرض روضاً ضاحكا حاك الربابُ ثيابه وأطالا
وحبا الطيورَ الصادحات وكورها بين الرياض الوارفات ظللا
وأقرَّ في قاع البحار قطينَها والدودُ في جوف الثرى الجوالا
واختصَّ آدم بالشقاء ونسله وحباهم الآلام والآمالا

* * *

يا أم ذي الدنيا ولستِ شبيهة بالله ربَّ المخطئين تعالى
ما تطلبين صلاتنا وصيامنا أو تنكرين جحودنا الأفضالا
سيَّان عندك حافظ ومضيّع والمحسنون ومن أساء فعالا
كلُّ يلوذ بظل عطفك دائباً بُوركت من أم تفيض كمالا
وكرمت حتى لست تدريين الهوى والبغض والأطماع والأوجالا
سبحانها عما يُحس بنو الردى فلقد حماك جلالُك الأشغالا

* * *

ستثور عاصفة الليالي ثورة تجلو الشكوك وتدفع الإشكالا
وتدق فوق خرائب الأديان نا قوس الردى وتحيلها أغفالا
وترد للمسلوب حقاً بزّه إياه من منى النفوس ضلالا
يا أم ذي الدنيا فلا تأسّي على ما كان من جهل وإن يكن طالا

عزاء الشعراء

سيعرقني يأسِي ويغلبني ضني
فلا تنفسوا شعراً عليّ مفوّفاً
كما نظمت هذي الرياح غمائمًا
يهددها مما يضم ممزق
لنا الله من قوم نذيب نفوسنا
ويصدر عنا الناس رياءً قلوبهم
نذوق شقاء العيش دون نعيمه
ولكنه ما أخطأنا لذاته
إذا هو سرّى عن لهيف مفجع
فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها

يغذ بنفسي للبوَار ويوجفُ
له لو علمتم جانب متخوف
لها من غروب الشمس وشي مطرف
ومما يوشيهـا مذيـب ومتلف
ويجني سوانا ما نشور ونقطف
ونحن عطاش بينهم نتلـهف
على أننا بالعيش أدري وأعرف
إذا بلغ السؤل القريض المثقف
وأنس قلبًا موحشًا يتشوف
ونحن من الأيام والعيش ننصف

زهرة الشر أو الحب

ووردة الكرب والهمومُ	يا زهرة النحس والشقاء
وطيُّ أندائك السموم	تنفح أنفاسك المنايا
مطرورة الناب للنعيم	ترود من حولك الأفاعي
يا فرحة الدود بالرميم	العيش رمسٌ وأنت دودٌ

* * *

نخاله ليلنا البهيم	يصدأ منها النهار حتى
فكيف ينجاب أو يريم	والليل من وقعها كفيف
فالنفس من شرها عقيم	لا يخصب الظنُّ حيث تنمو
كما التقت بالقنا الخصوم	تترك دون الحشا عراگًا
أودى الذي يضمّر الحزيم	فإن تكسّرُن في فؤاد
من الصبا وهو لا يدوم	كأنما تثأر الليالي
طعامها النفس والجسوم	توقد دون الضلوع نارًا
من جنة الحسن ذي الجحيم!	يا بؤس للحب كيف يُجنى
بالبغض لو يحمد الذميم!	يا بؤس للناس هل تغنّوا
وخطبُه ليس بالجسيم!	وليس في البغض ما يعنّي

محاسبة النفس

أضعت شبابي بين حلم وغفلة
ولم يبقَ لي شيء وقد فاتني الصبا
تعود الغصون الصفر خضراً وريفة
وليس لما يمضي من العمر مرجع
بلى زاد في علمي وفهمي وفطنتي
ولكنّ في عزمي فلولا كثيرة
وما خير علم في الحياة وفطنة
كأنّ لنا عمرين، عمراً نريقه
ألا ليت عمر المرء يُرفى كثوبه

وأنفقت عمري في الأماني الكواذب
وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب
مرنحة بعد الذوى والمعاطب
ولا فرصة فانت لها كرّ آيب
وحلمي أن جربت بعض التجارب
تغادرني في العيش طوع الجواذب
إذا حال ضعف العزم دون المطالب
وأخر مذخوراً لنا في المغايب
ويرقع منه جانب بعد جانب

تقديم الصبوات

أينعي يا زهراتي
لم تزل ذكرى ليالي
حية بالذهن قد تب
حين أهديت مثيلًا
لوضيء الصفحات
يوسفى القسمات
صمد الدهر إليه
ما عسى طاقة ذي الحس
فذوى الحسن ولمّا
يا زهور الشعر لا خذ
إن يكن أخلق حسن
فقديمًا كان غصًا
وقديمًا جادك الحس
أينعي فوق ذواه

لقديم الصبوات
العذاب السالفات
عث مسك النفحات
تلك في حسن شيات
لؤلئي البسمات
نرجسي اللحظات
وهو وعر السطوات
من بماضي العزمات
يذو حب الذوايات
ت زهور الوجنات
كان وحي الحسنات
سحري النسومات
من بطل الضحكات
واحفظي عهدي السقا

عظة المحبوب

ولا تتركني في العذاب أخلد
ولكنما أخشى الذي بت أعبد
مخوف وبعض الشر في الخير يوجد
إذا لم يكن لي منكم متودد
فتلهو ويبكيني الأسى والتوجد
وأني على ما يوجع القلب مسعد
عيوف وأني صابر متجلد
ودمعي على الخدين سلك منضد
حوالك مثل الليل أو هي أسود
وأكتم حتى عنك سرّي وأبعد
يقيني أن البعد أحجى وأرشد
وصدري على السر المبرح موصد
تظل المنايا فيه تُرغي وتُرد
وتجذبني نفسي إليه وتورد
وأعرض والأهوال للنفس رُصد
وأخشى الردى إذ كل شيء مهدد
عطوفًا تصافي كل من يتودد
له صدحة تعيي الورى وتغرّد

ألا غد إلى العهد الذي كنت أحمد
هجرتك لا أني سلوت هواكم
أحبك لكنني أخافك والهوى
على أنه سيان قربك والنوى
يضاحك الإخوان أنسا وغبطة
فكيف ملامي لاهيا لا يحسنا
وهل نافعي أني كتوم وأنني
ألا في سبيل الله ليل سهرته
سميري وسواسي وصحبي خواطر
أخاف عليك الناس أن يلهجوا بنا
وهون عندي ما أعاني من الجوى
وكيف أرجي منك بلا لغتي
تفجر بحر بيننا متزاهر
أخاف عليّ الهول إما ركبته
فأقبل والآمال فيك كثيرة
وأخشى الكرى إذ كل حلم مروّع
خلت بك عني الملهيّات وإن تكن
تصادح أطيّار القلوب سوى الذي

ومثل نسيم الصبح أنت سماحة	يُقَبِّل ما يبدو له ويبرد
ألم ترَ للأزهار كيف رواؤها	وكيف غداً يجني عليها التورُّد
يروقك منها حسننها غير أنها	تصوِّح إن أمست تقلبها اليد
كذلك تذوي بعد حين فلا تكن	لكل طلوب غاية ليس تبعد
ولا تمنح الود امرأً ليس أهله	فما كل ماء لامع الوجه مورد

عبث الحياة وباطلها

إلى شكري

وتذمُّ طول تصوُّبٍ وتصعُّدٍ
وعليَّ من خلق الهموم الأوغدِ
يخطو إلى الغايات خطو مقيدِ
بدمٍ كحاشية الظلام الأربدِ
يحوين مرهوب الصلال الشردِ
في ظل أيام الشباب الأبردِ
أعمى يضل بما به قد يهتدي
وأزلُّ حيث ثَبَّتْ عثرَ مُصَفَّدِ
ولكم قطفَتْ جنى الغصون الميدِ
لهفي على ورق المنى المتبددِ
وتساقطت أوراقهن على اليدِ
ما إن يبالينا كأن لم نوجدِ
بالعيش أم ماذا يفيد تجلدي
ماتت وأنفاسُ لها لم تخمدِ
تنسيك ثقل ظلالهن الرُّكَّدِ
ينسى مخاوفه إذا لم تطردِ

تبغي حياة لا تُحسُّ صروفها
لهفي عليك وقد تخالجت الأسي
إننا كلينا واجد متجلدِ
وكأنما كتب الزمان حياتنا
وكان أسطرها لشدة هول ما
قد كنتُ أومنُ بالحياة وطيبها
فاليوم أكفر بالنعيم كأنني
وأمدُّ للدنيا يدًا مبتورة
وأروح أجني الشوك غير مقلمِ
عادت ليالينا خريفًا كلها
ما خير عيشٍ صَوَّحتُ أفنانه
لكأنَّ مَنْ شمل الوجود بعدله
ماذا يفيد تسخُّطي وتبرُّمي
فارددْ على مكروهاها النفس التي
وأقر الهموم إذا حضرن قوافيَا
كالطفل يصرخ في الظلام لعله

حلم الشباب

لنجلي الهم يجتاب الكرى ملك ما طف حتى نزحا

* * *

حلم كان ولا كالحلم
يصل اللذات لي بالألم
كأغاريد الهوى المنصرم
ما رأَتْ غرته شمس ضحى ليته أمهل حتى يصبحها

* * *

حدثتني النفس لما أن بدا
كنجوم الليل وضّاح السنى
بربيع غرد حلو الجنى
حاكه الحظ على قد المنى فكأنني كنت شمت البرحا

* * *

صوّحت ريحانتي الريحُ السموم
لم يقبّل ثغرها خد النسيم
لا ولم تدر ابتسامات النعيم
ورعاها الموت طوبى للردى ربح الصفقة مني — ربحا

ديوان المازني

* * *

إيه يا ريحانة القلب الشجي
نوري في روضة النور الوضي
وانفحينا بشذاك السرمدي
إنني أسلمت نفسي للأسى أجلكِ العمر وعفت الفرحة

الشاعر

يطالع في سفر جليل المراقم
يجيش بأصداف اللاكي الكرائم
نقي كصوب العارض المتراكم
بها قطرة في زاهر متلاطم
يضيء حواشي كل أغبر قاتم
يسح بفيض العقل سح الغمام
أرجن بأنفاس الثغور البواسم
ويركبه ظهر الرياح الهواجم
وتنشده بين الرُبى والمخارم
وتوحيه سجعاً في صدور الحمائم
يجاوبها قصف الرعود الغواشم
يريهم سبيل الحق بادي المعالم
يرن صداها في القلوب الكواتم
ويضرم طوراً خامدات العزائم

يرى من ستور الغيب حتى كأنما
له خاطر يقظان لي بنائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره
وروح كأن الكون من فرط رُحبها
ولحظ كأن البرق ريش سهامه
ولفظ كضوء الشمس في مثل سيرها
كأن رياضاً في مثاني حروفه
يحمل خفاق النسيم حديثه
فتجريه في أفواف كل خميلة
وتلقيه أنداء على الزهر سحرة
وترسله في الجو صرخة آيس
وتطلعه فجراً على الناس واضحاً
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها
يرقرق أنداء العزاء على الأسى

* * *

الجمال وشاها بنور المباسم
فإن حياتي ملؤه للخياشم
ولكن جفني كالبطون العقائم

فيا روضة الحب التي طلها ندى
دعيني أنشق في ظلالك عرفه
وإن شفائي عبرة لو هزقتها

ديوان المازني

فإن لم «يغثن» الله فيك بسجعة شقيت بجمات العيون الظوالم
وفي الشعر للمفتؤد سلوى وإنه ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

إلى العقاد

عباس أقصتكَ عن خلصانك الدار
أذكر فديتك عهدًا دوحه خضل
كنا سماءً وكان الود أنجمها
وكان يسري هلال الحب في أفق
فزر أخاك على بعد بقافية
إني وإن بتت الأيام وصلتنا

وأذهلتك عن الأحياء آثار
مليته زمنًا إذ أنت لي جار
فما دجى أفق أو ثار إعصار
هالاته فيه إعظام وإكبار
كالطل تحيا به في الروض أزهار
بجمحة الشوق والتحنان زوار

إلى صديق

كما يومي إلى القوم الغريق
وكنـت ونسجها بكم صفيق
وليت الداء أعيتني الخروق
أقول لكل غاربة شروق
كأن عروقه الليل الغسوق
كأن القلب منه به حريق
كما يحنو على الطفل الشفيق
يضيق بها الزمان ولا تضيق
أرى الأيام ديدنها العقوق
يظل له بقلبيننا علوق

يحييك الفؤاد على التنائي
أرّقـع بعدكم أثواب عيشي
وكنـت أظنني طبًّا فلما
وكنـت إذا تمطى بي ظلام
فصرت أهاب ضوء الشمس حتى
فهل لي عندكم شوق كشوقي
ودادي ناشئي فاحنن عليه
بأخلاق كعهديها رقاق
ولا تُسلمه للأيام إنـي
وصنه في حجاب القلب مثلي

أنشودة الشتاء

قد ذهب الحول بالربيع وبالـ
فأي أصواتك القدائم يا
وما انتفاعي باللحن أبعثه
أين، وهل ينفع اللهيف أسى
غلائل قد نثرتها بيدي
أنا الذي كنت لو تصدقني
فصيرتني الخطوب زافرة
أعجب للحظ هل مقسمه
أجزل من سهمة الرجاء لنا
لكنه قد أخس قدرتنا
غنى أمانٍ وفقر مقدرة

صَّحو وجاء الشتاء مرهوبًا
قلب أناجي بها الشَّابِيبَا
وليس من يسمع التطاريبَا
يزيد وجه الحياة تطبيبًا
عن نور عيشي وعدت مسلوبًا
أكون شيئًا في الدهر محسوبًا
كما أثار الزَّمَارُ أنبوبًا
أرادَه ويلنا أعاجيبَا
فكل شيء نراه مطلوبًا
يا ليت ما شاء كان مقلوبًا
فلن ينال الفؤاد مرغوبًا

الأسافل والأعالي

من الأحلام وارفة الظلال
ليَ الأرواح أم صم الرمال
أرى الأسماع سكت عن مقالي
من الحسن المصور والجلال
بهم أحلامهم دون النعال
سقاها الضامئون إلى الكمال
كريم الأصل محمود الأوالي
على أفنانها طير الليالي
نماها خير أصل في الخوالي
بها ما اسطعت من شهدٍ حلال
سننسيه الأسافل بالأعالي

سأهدل كالحمام في رياض
وأصدق لا أبالي ها أصاغت
ولست بخافض صوتي لأنني
كفى الغريد لذة ما تغنى
ولم آسى على قوم أسفت
سيورق يا خليلي كل غصن
غصون بدائع من نبع صدق
ستؤتي أكلها يومًا وتشدو
وهل شجراتنا إلا فروع
فطر في ظلها كالنحل واجمع
وأيقن أن سيذكرنا زمان

مناجاة الحسن

رياه ريحاننا في مجلس أَلحان
وهُنَّا يُهيج أطرابي وأشجاني
لا يسمعان وإن كانا يقولان
وبالشراب على سري يغوصان
دوارها واستوى سري وإعلاني
ذريعة لطيرير الحسن غيساني
لم يعرفا سخر أشجان وأحزان
... ..
... ..
لو يستطيع رنوا لحظ ولهان
ولحظه الخلد إلا أنه جاني
ملء النواظر من حسن وإحسان
نفسى فداؤك من راج ومانان
كنجمة الصبح تحدو نوره الواني
لكن دعوت فما أعيأ بتبيان
عادت رطابًا بها أعواد أغصاني
بأرجل منهم طرًا وأذقان
ألذ ما يتحساه حبيبان

حنًا شرابهما في ظل حَسَّان
ريا الحبيب ولا شيء كنفحته
حنًا شرابهما حتى رأيتهما
هما أثيران علاني على ظمًا
ويضحكان إذا ما الخمر رنحني
ويعجبان لنسجي الزور أجعله
ويحسبانني مجانًا كأنهما
... ..
... ..
يكاد يأكله باللحظ مبصره
ولفظه السحر إلا أنه كلم
وجه مضيء من الفردوس مخرجه
وقال صف ليلتي هذي مجملها
أهبت بالشعر فاستفتحت مغلقه
ولو وكلت إلى نفسي عييت بها
سقيًا ورعيًا لها من ليلة سلفت
إذ ملعبي الناس ألهو غير محتشم
سقيتني الحب إذ نحسو على مهل

فأتقيك بإغضاءات غفلان
أفيء يومًا إلى رشدي ورجحاني
كيما ألهي الحشا عن حسن مفتان
نشقته ونشقت الحسن في آن
فمزقت شملنا أرواح غيران
من بين أوراق أغصان وأفنان
يا لهف نفسي على جنكي وعيداني
ألا استهلّت بصوب الدمع أجفاني
يا ليت ما عاد منها كان أخطاني
وكل هم بها لي منه زوجان
صدري، ويخبط بطنانًا بظهران
تكوي حشاي وتوهي صرح بنياني
كأنما هي من أحشاء بركان
شبا كأنَّ له تخبيط شيطان
ويا سقامي ووسواسي وشغلاني
عفواً وأخرى على وعد ونشدان
بعدُ على حسرات إثر إحسان
لكن دقائق تعدو ذات أمعان
وإن دعوت إلى مطل فلا واني
هيهات ذاك لقلب الواله العاني
سوابغًا من سدى همٍّ وأحزان
تموج باليانع النائي وبالذاني
طرائفٍ من أقاح وسط ريحان
على فؤاد طويل البث قرحان
هيهات ذاك حرمنًا أي حرمان
عيني ولا سمعتُ في الدهر آذاني
يا صاعقي بجمال ما له ثان

وظلت ترشقني باللحظ عن عرض
وأصرف الفكر عنكم بالمزاح عسى
وأدعي أن ضنئي سالبي رشدي
وياسمين شممناه مناقلة
كنا وكنت كسحبٍ بينها قمر
أو كالضياء رمى نجم وشائعه
راخت ليالي النوى أوتار عيداني
يا ليلة لي منه لست ذاكرها
بعد السلو تعود القلب صبوته
كم ليلة بعدها كابدتها سهرًا
كالبحر حين تهب الريح عاصفة
يا موقد النار في قلبي وتاركها
حتى غدوت وألفاظي لها وقدُ
بردٌ بقربك نيرانني فإن لها
عجلت بالهجر يا موفي على أمني
وليلتان هما لي منك واحدة
أليلتان جزائي منك أجلهما
مسافة البيت لا شهر ولا سنة
أإن دعوتك للرعيا فلا عجل
تحدث الناس عما فيك من حسن
يا جنة العين ما للأرض ملبسة
يا روضة من رياض الحسن فاتنة
فيك الشقائق للجاني تميل على
ونرجس فوقها يسطو بلحظته
قد كان ظني أني قد ملأت يدي
أتم طيبًا وحسنًا منك ما نظرتُ
ولا أتم أسى مني ولا كمدًا

يا حسن كم من أخي حسن كلفت به	قد سار سيرك في صد وهجران
لما برمت به فارقته جذلاً	وكف دمعِي عن سح وتهتان
لكن أبت ذاك آيات لحسنك لم	تترك سوى سبل إقرار وإذعان
أهون عليك بمفتون وشقوته	إذا لهوت بأكباد وأذهان

الأزاهير الميتة

دوائرَ عفتها الليالي الدوائرُ
جاءت ليالٍ بالنحوسِ مواقر
تساقطُ أوراقُ لها وأزاهر
وتهفو بها الأرواحُ وهى ثوائر
وعافت ذَوَاهَا الصادحات الطوائر
لهن نعيقُ فوقها متطائير
وأين أزاهير الشباب النواضرُ؟
تحياي الفتى والعمر قينان ناضرُ؟
دهتها صروف بالسموم قواطر
زوتها عن العين الهموم الزواخر
فلن تجتليها يا لهيف النواظر
ودارت على رَوْقِ الحياة الدوائر
إليها ولا صوب الغمائم ناصر
تموت فأبكيها ودهري ساخر
وقلبي مقروحٌ وصدري واغر
تنورُ حتى أعجلتها المقادر
بواطنه مصفرة والظواهر
تبسمُ في الليل النجوم الزواهر

أجلُ في حياتي الطرف تبصرُ رسوما
تولت ليالي السعد وهي حميدة
وأصبحت والآمال حولي ذوابلُ
يشاهقها البرق المضيء عشية
وعُرِّيتِ الأفنان من ورق الصبا
فما ينتحيها غير غربان شقوة
فأين زهور الحب يا طول حسرتي؟
وأين أزاهير السرور كأنها
وأين أزاهير القناعة والرّضى؟
وأين زهور الصبر والأمن والمنى؟
طواها زمان ليس ينشر ما طوى
وغابت فغاب الأمن والخير كله
ثوت حيث لا شمسُ ترد حياتها
أفي كل يوم زهرة لي غضة
تساقطُ أزهارُ الحياة على يدي
كأن وباءً عاث فيها فلم تكد
ولا خير في عيش إذا كان مجدباً
إذا مر بي يوم حميد، وربما

تَلَفْتُ حَوْلِي بَاحِثًا عَنْ شَبِيبَتِي
تَقَطَّعُ أَحْشَائِي إِذَا مَا افْتَقَدْتُهَا
وَبِيضَاءَ مَنْ زَهَرَ الْعَفَافُ فَقَدْتُهَا
فَغَيَّبَهَا قَبْرُ الْفَوَادِ وَجَادَهَا
بَكِينًا عَلَيْهَا حَقْبَةٌ ثُمَّ رَدَّنَا
وَمَا عَجَبٌ أَنْ الْمَنَايَا عُلِقْنَهَا
وَكَيْفَ أُرْجِّي أَنْ تَدُومَ وَقَدْ مَضَتْ
وَأِنْ مُحَالًا أَنْ تَدُومَ وَحِيدَةً
وَأِنْ ضَلَالًا نَدْبُ مَا لَيْسَ رَاجِعًا
سَيَمُضِي وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بَيَّ الرَّدَى
وَأَزْهَارَهَا وَالدَّمْعُ فِي الْجَفْنِ حَائِرٌ
وَيُضْرَمُ أَنْفَاسِي الْحَنِينِ الْمَخَامِرُ
وَبِالرَّغْمِ مِنْي أَنْ قَلْبِي ذَاكِرٌ
بَصِيْبُهُ جَفْنٌ عَلَى الدَّهْرِ مَاطِرٌ
إِلَى الصَّبْرِ دَهْرٌ بِالْمَلَمَّاتِ زَاجِرٌ
وَكَرَّ عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَالدَّهْرُ جَائِرٌ
بَأَنْدَادِهَا عِنْدِي الْمَنَايَا الْبَوَاكِرُ
وَأِنْ سَفَاهَا مَا تَرِيقُ الْمَحَاجِرُ
وَأِنْ عَنَاءٌ مَا تَحْنُ الضَّمَائِرُ
وَتَذْهَلُنِي عَمَّا افْتَقَدْتُ الْمَقَابِرُ

زهرة الصخر

يا موحشي بالنظر الشزِرِ
وأين مني راحة الصبرِ
تومض فيها أنجم السحر
في الذهن، كالسرحة، والصدر
فالعيش ليل سابغ الستر
من كل ما أكره من دهري
يحلي مذاق الألم المرَّ
ومُسقط الطلُّ على الزهرِ
عند التياح الأرض للقطر
عقودَ هذي الأنجم الزهر
والأغصنَ الميس للطيَر
وزوَّج الحسن من الشعر
من خدِّه الواضح والثغر
لو أنَّ في العالم من يدري
أم تقذف النيرانُ بالجمر
أم حال ظل الموت أن نسري؟
عيناي عينيهِ بلا زعر؟
جَرِّي نمير الماء في الغُدر

آنستني بالأمل المغري
أعوذ من ذكرك بالصبرِ
يا نجم أرضي يا سماء الهوى
خواطري السوداء مغروسة
تسودُّ منها الشمس رَأَد الضحى
ما لي أرى كَفِّي مملوءة
لكنها خالية مما عسى
يا مجريَ النهر إلى البحرِ
وجامعًا بين الثرى والحيَا
ونازمًا في خيط هذا الدجى
وواهبَ الموجة صدرَ أختها
أطفئُ بماء القرب جمرَ الهوى
لا غرق الساعات في قبلة
ماذا ترى يمنعني قربه
أبيننا بحرٌ يردُّ الخطي
أم سُدَّت الأرضُ فلا وجهةُ
أينقضي العمرُ وما صافحت
ولا جرى في مسمعي صوته

ولا تخطَّيْتُ ولو ظلَّه
حتى الكرى يُبديه لي مبهمًا
أو حاجب الشمس إذ ما بدا
كأنما الأحلام أستاره
أدعوه في الأحلام حلو الجنى
وقد أناديهِ، وما أفترى،
وربما سمَّيته باسمه
إن كنتَ حقًّا حُلُمًا ساحرًا
وبالأسى والحرقات التي
راح على عطفِي ثوبُ الأسى
وآدني ثقل الهوى إنه
وعَمَّقَ الأحزان أني أرى
يا ليت للزفرة روحًا إذا
لا غايةً لي أتعرَّى بها
هو المنى لو أن لي حيلةً
يا ملء عيني وفؤادي أما
ذكرك نسكٌ لي تحت الدجى
وأين لا أين بخور الهوى
يا ربَّ إنني حافلٌ أمره
لم تقض لي منه سوى حبه
فازدحم القلبُ بأحبابه
فليتني كان لحبي صدًى
يا شقوةَ العاشق أمسي وما
وهل يفيد الصب أن يشتكي
كأنني إذ أتشكَّى الهوى
إنَّ هيَّ إلا أسطرَّ قلما
دفنت فيها كل ما مرَّ بي

فما انتفاعي اليومَ بالعمر؟
كالزهر في أكمامه الخضر
بين غمامٍ؛ دَنَفَ الذَّر
تصرف عنه نظر الفكر
على سبيل الهزءِ والسخر
يا زهرة صيغت من الصخر
كأنما لا شك في الأمر
فهل ترى أحلم بالهجر
ما أطفأتها عبرة تجري
مُحلوك المِجول والصدر
حقيبةٌ ملأى من الشر
نفسِي في مثل دجى القبر
أصعدتُها تكشف عن سري
حينًا ولا أقنع بالذكر
آه على ملتَمسي الوعر
تَنَفَّسَ البلجَّةُ في الفجر
فأين محرابيَ وا حرِّي!
أنفاسك القُطرية النشر
ولا أراه حافلًا أمري
وذا قضاءً بينَ الجور
مثل ازدحام الرأس بالشعر
يُبيتُه مني على ذكر
يُحسُّه المعشوق أو يدري
في شعره طورًا وفي النثر
محدِّثُ نفسِي في الجهر
يعبرها وا ضيعة الشعر
وهل لِمَا يُدفن من نشر

زهرة الصخر

ما أضالّ الآمال زادًا وما أخونَها في موقف النصر
من زاحف الأيام في جيشها فبالطلي كَرَّ على البُتر
ومن أبى غيرَ المنى حيلةً أسلمه الحظُّ إلى العثر

إكليل الشوك

وما لي من لفح الزمان مقيل
ولو أن ألوان السماء شكول
فكل سناء قد عراه ذبول
فليس إلى السعي الحليل سبيل
وهيهات منه والجنح ثقيل
عليه فتامور الظلام قتيل
غياهبه الألباط كيف تصول
حسبت الدنا جذت لهن أصول
أرى حلمًا تنهار منه عقول
وغال قوى هذي الطبيعة غول
ولا للنفوس الحائرات دليل
وجلله شوك عليه طويل
لرأسي إكليلاً وذاك يهول
ويضحك مني عالم وجهول
ويغضي حياءً صاحبٌ وخليل
ولم أحفل الشيا ب كيف تقول
يميد بعطفي حسنه ويميل
وما أطنبوا فيه الغداة فضول

أجوب فيافي العيش سدمان حائرًا
لقد طال بي التسيار حتى أملّني
يسودّ شجوي كل ما أنا مبصر
يقيدني ثقل الهموم إلى الثرى
كنسر يريد النهض لا يستطيعه
وليل كأنّ الموت أرخى ظلاله
إذا عنّ فيه البرق كالخيط أبصرت
وإن هبّت الأرواح من رقداتها
تجسم لي وهمي به فحسبتني
كأن الربيع الطلق جاد بنفسه
فلا الصبح مرجو ولا الليل منته
وأبصرت روضًا هائج النبت كظّه
تناولت منه شوكة ولففتها
فظل يضج الناس إذ يبصرونني
ويلتف حولي صبية يعبثون بي
مضيت فلم أنهر صبيًا مرهقًا
وفي أذني صوت ندّي يحثني
أشق به هذا الأنام كأنهم

الموت ثمرة الحياة

في رثاء صديقنا المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم

وأبكيك لو أجدى عليك سجين
سلاه خليل أم بكاه حميم
ولكن جفني يا أخِي عقيم
يتامى دهاهم يوم بنت عظيم
دموع على الأيام ليس تدوم
أيرجع ميتًا صوبها فيقوم
ولو أن عيني بالدماء سجوم
فليس لعيشٍ بُنْتُ عنه نعيم
ولو أن آجر البناء نجوم
فصرت وأيامي لبعدك شيم
سوى الحي لا الفاني فذاك سليم
ولكنَّ من يخطيه فهو مقيم
حياة، ولا قال الحمام زميم
ويرتاع من ذكر الحياة رميم
على الموت منا هجمة وقدم

أناديك لو رد النداء رميم
وهل يحفل الميت الذي غاله الردى
ويا ليت لي دمعاً عليك أريقه
سأبكي عليك الناس حتى تخالهم
وماذا يفيد الميت في القبر قد ثوى
وهبها على الأيام سحت غمائمًا
وكيف أجازي طيبَ عهدك بالبُكى
فبعدًا لهذا العيش بعد فراقكم
ولا مرحبًا بالدار لست قطينها
عرفتك والأيام بيض حميدة
كأنا الألى متنا، وهل يألَم الردى
وليس غبين القوم من غاله الردى
ولو خُيرَ الأموات ما اختار واحد
يروع الفتى ذكر الحمام ووقعه
خُلقنا وما ندري لأية غاية،

ومن خلفه هذا الحمام غريم
ثمار الردى المنشوء وهو نعيم
ولا عاصفًا كالموت وهو نسيم
فؤادك من نبل القضاء ظلوم
عليك ولو أن الفراق أليم
فيا ليتني في الهالكين قديم
ولا جشأت دون الضلوع هموم
ولا صرت خطبًا ضاق عنه خريم
لمأرب عيش تبتغي وتروم
ولا كثر من بعد النهار بهيم
فصيح ولا عاوى السلاف نديم
نواكر تفريها عليك غموم
وأوكى على ما في العياب أثيم
كأن لم تورثه الحياة رءوم
فنفس الفتى عون له وخصيم
وللموت جذب لو فطنت وخيم
وإياك بطن الأرض وهي جسوم
عليك ولكن الزمان لئيم

وكل امرئ في العيش طالب غاية
فيا شقوة الإنسان يجنيه سعيه
ولم أر مثل العيش أزهاره الردى
كذبتك لم أجزع عليك وقد رمى
نجوت من الدنيا نجاء نفسه
تمر الليالي لا تحس صروفها
كأنك ما مادت بعطفك فرحة
ولم تك في الدنيا لقلبي مطربًا
كأنك ما دببت بك الرجل مرة
كأنك ما أذاك برد ولا لظى
ولا أطرف الخلان في سامر لهم
كأنك لم تخلق سوى أن أكبدا
سقيت الردى في ميعة العمر والصبا
فيا ويح للإنسان يحيا وينقضي
وما نحن إلا الهاجمون على الردى
وكل امرئ يحدوه للموت حينه
وما أحد باقٍ وسوف يضمنا
لقد كان ظني أن يقدمني الردى

وحشة الحياة

وبالرغم من أنفي اللقا والتفرُّق
حنان أب يُرعي عليّ ويشفق
بأكثر مني وحشة وهو مُعنع
بمزماره راع أملتَه أينق
وهيهات! أعياني بطني التعلق
ولا أنا أخشى كيف كنت وأفرق
وأن حياة المرء ثوب سيخلق
ولا شاقني تحبيره والتنوُّق
لكان لها فوق الحياة مُحلّق
حقارتهم والنند بالنند ألحق

تلاقيتُ والدنيا لقاءً لفرقة
وعُريتُ من أهلي صبيّاً فلم أذق
فما مصعد في شاهقات من الذرى
فصادقتُ نفسي في الحياة كما خلا
أوازن بين الخير والشر تارة
وما بي من ذل ولا عجرفية
وإنني لأدري أن للعمر نهجه
ولو أنني خُيرت ما اخترت لبسه
ولو أن نفسي خُيرت في طلابها
وما أزدري أبناء آدم إنَّ بي

الطفولة

على جهلها أحلى وأهنأ ما ليا
أعير النجوم الزهر نور بهائيا
مناويَ للجن المخوف خوافيا
وأفضي إليه بالشعور حياتيا
وداويت نفسي في الأسى ببكائيا
ولا كان شيء عازبًا عن رجائيا
وأزعجها من حيث تنشي الأمانيا
ويبدي حنانًا من يراني شاكيا
برا الله من كل القلوب فؤاديا
تباري الورى أن يبلغوني مراديا
وأبدلتني، صبرًا يوازي مصابيا
وقد هدمت أيدي الخطوب بنائيا
من اليأس دهر لا يبالي بلائيا
إذا ما خبا لم يلف في الدهر وارايا
أصعد طرفي مرة في سمائيا
على عنت الأيام يا قلب ناجيا

رعى الله أيام الطفولة إنها
ليالي أظن الكون إرثي وأنني
وأحسب بطن الأرض واليم والدجى
أفيض على ما تأخذ العين جرمه
إذا أذيت نفسي صرخت ولم أبل
وما كنت أدري لهم كيف مذاقه
ولا كنت أكسو النفس ثوب مخاوفي
يضاحك ثغري كل ثغر توددًا
ويُلقي بي الناس السرور كأنما
ولي سهمة من كل لهو كأنما
فيا رب أوزعني على ما سلبتني
فقد بزت الأيام عني مطاريا
وأغرقني في لجة بعد لجة
ويوشك أن يخبو شهاب شببته
وأثقلني همي وأقعدني فما
بليت كما تبلى الطلول وهل ترى

عالم الكرى وعالم اليقظة

ووجدت النوم أشجى للحشى
يقظة دنيا وأخرى في الكرى
لا الكرى أمن ولا السهد حمى
إنه للنفس غوث ونجا
نفساً مرّاً ودمعاً ولظى
حاملاً منها كأجبال الصفا
نغرة الجرح الذي كان أوى
فهى بعض ما طوى منا البلى!
وأغض الطرف والقلب يرى
حرقه الصدر نصيبي والظما
من دماء القلب نيران الأسى
يقهر النفس بسلطان الجوى
في حماك الهم ممرور الجنى
وبنات الدهر تسطو بالأذى
شد ما أنهكنا طول السرى

قد وجدت السهد أهدى للأسى
شد ما يظلمنا الدهر أفي
ويل هذا القلب من صرفهما
الردى – إن كان لا منجى – الردى
إن للأحلام أمّا طرقت
كم غدا خاطر في يقظته
كم غدونا نشتكي من بعدها
شاطرتنا عيشنا فيما مضى
أتقيها والكرى يقذف بي
وعلى ما عذبت أو ملحت
كلما قلنا نسينا قدحت
خلق المقدار منها عالمًا
يا بنات النوم ما لي أرثعي
أبنات النوم تسطو في الكرى
أين يا سائقنا أين بنا

إلى رجل يشتمنا

رفقًا بنفسك إنني رجلٌ
حُسْنُ الكراهة في تبادلها
فاقلّ الذين إذا تَلَبَّتَهُمْ
إنني لآنف أن أسفَّ إلى
لا بغض في قلبي لمن جهلوا
لا أن ينوءَ بثقلها رجل
أضنى نفوسَهُم بك الشُّغلُ
أمرٍ سيعقبني له خجل

إِلَى مُدِلِّ بِجَمَالِهِ

يا قَمَرًا لا يَعْرِفُ الْأَفْولا
كل سَنَى لا بَدَّ أَنْ يَحولا
وورْدَةً لم تَعهدْ أَنْ يَحولا
مَلَكِ رَبِّي عَمَرَ القَلِلا
أَهونُ بَخْطَبِ يَهَبُ البَدِلا
ما أَكْثَرَ الوردِ كما قد قِلا

الحظ المصروف

يا صارفًا لحظه عني على عجل
قسمت لحظك بين اثنين مختبل
أولاهما من أذاب الحب منطقَه
اردد إلي لحاظًا قوتها أبدًا
تبصر جمالك في عيني مرتسمًا
وأجر في مسمعي صوتًا نَعَمْتُ به
إخاله إذ يسكُ السمع ليِنَّه
أما تراني أهلاً أن تراعيني
وهائم بسواكم غير مغبون
وهو القدير على شرح وتبيين
حب بعيني باد غير مدفون
وقد ترى الدمع يخفيه إلى حين
يكاد يذهل عن عقل وعن دين
ألحان قلبي وقد باتت تناغيني

إلى صدقي

حيث قدّرت أن ستفرغ صبرا
فكأن التعذال للدمع أغرى
وإن كانت المصيبة بكرة
لأب ضاق بالرزية صدرا
دمع كالزند كلما لُزَّ أورى
أن تبیت الشئون أعظم غزرا
فنظمتُ الدموع للناس شعرا
وبكرهي عصيت للصبر أمرا
ش ولم أَلِفْ غير دمعي قطرا
من ملام إن لم تجده مُمرّا
لا سجونًا لفيضهنّ وقبرا
بي كبر أن أمنع الدمع كبرا
أشتكي وحشة وآلم بترا
واجدٌ بعدها بديلاً أغرا
ر تعاني فيه السكون المُرّا
حسرات تصول طردًا وكرا
ل تزيد الفؤاد وقدًا وحرّا
أثرا بيننا وإن كان ذكرا

إيه عبد الرحمن أذكيت جمرا
أجد الدمع بعد نصحك أجرى
لست أبكي لفقدها علم الله
وهي بعضي فإن بكيت فعذر
غير أن الهموم يفصح عنها الـ
ليس بدعًا على ترقى الرزايا
حدّقتني الأيام ألحان حزن
وبرغمي سحت سحائب دمعي
أرْمُضتني الخطوب في فدّد العيـ
ما على من راخت قواه البلايا
خلق الجفن للدموع مجازا
فدع اللوم يا خليلي فإنني
ليس هينًا عليّ أن فئت فردّا
وعظيم عليّ قولك إنني
لهفتي للفتاة في وحشة القـبـ
أبدًا لا تزال تغشى ضميري
ودموع عليك مسفوحة الوبـ
فأذهبي كالربيع ولى وأبقى

الشعر والريح

لمن عرشه نور الجلال الموطف
ويعرض مني جانباً ليس يكشف
وإن كانت الأضلاع منها تقصف
تقر وأخرى لا تني تتعجرف
يباديك منها جربياء وحرّجف
كذاك لشعري سورة وتألف

صلاتي لربي الصمت في معبد الدجى
ولكنني بالشعر يهضب مقولي
وأسكب في أذن الزمان مواجدي
فلا تلح شعري إنه الريح مرة
وتلفحنا منها السموم وتارة
وتزفر أحياناً وترقد مثلها

في الرثاء

قصيدة قلتها في نفسي على لسان آخر، وسألت صاحبًا لي أن يرثيني بمثلها.

فتى غره في العيش نظم القصائد
وكان لئيم الطبع نزر المحامد
جبائنا قليل الخير جم الحقائق
وفي ريقها سم الصلال الشوارد
ومات ولم يحفل به غير واحد
وراح على كره الأمانى الشوارد
فأورده النسيان مر الموارد
لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
وكيف يروى تربه غير واجد
حقيقًا ولا أهل الهموم العوائد
وذاك لعمري خطب كل البوائد
هدي لمن تطويه سود الملاحد
بلى ربما كان الردى خير ضامد

قضى غير مأسوف عليه من الورى
لقد كان كذابًا وكان منافقًا
وكان خبيث النفس كالناس كلهم
وقد كان مجنونًا تضاحكه المنى
فعاش وما واساه في العيش واحد
وجاء إلى الدنيا على رغم أنفه
أراد خلود الذكر في الأرض ضلة
ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة
فلا دمع يروي يوم ولي ترابه
فلا تندبوه إنه ليس بالأسى
وخلوه للديدان تأكل لحمه
ولا تزعجوا الديدان بالنذب إنها
وقوموا ارقصوا قد فاز بالموت موجد

في العتاب

أين تلك العهود وافقن أما
أين لا أين موثق ويمين
ضقت ذرعًا فإن تطق فأعني
فلعل الزمان ينجز وعدًا
أمل إن قضاه لي الله يومًا
ولعل القنوط أحجى بمن لم
يا خليلي وأثر العذر واعلم
وعزيز عليّ لوميك لكن

لي وأخلفن بعد ذاك الظنونا
رحم الله موثقًا ويمينا
أو فعني فما أريد معينا
منه إن الزمان كان قمينا
لا نجدنا لشكره جاحدينا
يرَ منكم على الوفاء ضميना
أن للوجد سورة وجنونا
كبر الحب أن يظل غبينا

الغزال الأعمى

(جوابًا على أبيات لصديقي الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندي شكري يشكو فيها إليَّ همًّا.)

شكاتك حتى ما أكاد أبين
أعالج ما ألقى عساه يهون
يموت ويحيي إثرهن يقين
كأن الفتى في كفهن عجيب
وسرعان ما تبلي الظنون شجون
كغزال سوء أعوزته عيون
وإن كنت لا أدريه كيف يكون
ولكن غايات الحياة فنون
ولا نفعه لو أن ذاك يبين
وقال وألقى الخيط وهو ركين
وما لك إلا شمال ويمين
وتطلبه كفاي وهو شطون
إذا لم يعنني الله سوف أحين
أخاف وما لي في الحياة عيون

معيني على الأيام لاعت جوانحي
وما أنا خير منك حالًا وإنما
تتبع آثار الزمان نوازل
تغير آراء الفتى نكباته
فيا قرب ما يعدو على الرأي غيره
وأوجع ما ألقاه في العيش حيرة
وإنني لأدري أن للخيط مذهبًا
وإنني لأدري أن للعيش مطلبًا
ولا علم لي ما اسم الذي أنا غازل
أتاني من لم أطلع قبل طلعه
عليك به فاغزله إنك أكمه
ولكنني قد يخطئ الخيط أصبعي
فأعلم أن الريح ثارت وأنني
ولكنه أين المفر من الذي

ليلة

نعم ليل يضمنا في نظام
ليلة بين إخوة ومدام
مثله بعد طول عهد الغمام
مهجتي ريها على الأيام
ورياض من ودنا البسام
برياض مفترة الأكمام
أنتم وردها الزكي الشمام
وان ما لا يشم قطر الرهام
ك فما للزمان طول مقام
ففيتم الود أو رعيتم ذمامي
ثوبها ضافياً على الأجسام
أن يشوق الفؤاد للإظلام
ن وطيب أطمعن في الإنعام
بعد أيام فترة وجمام
حين تبدون في سواد الظلام
أنشر الشكر في القوافي الكرام
ملك للألسن الفصاح الكلام

يا أخلاي مرحباً وسلاماً
بين كأس وإخوة ونعماً
جاء هذا الربيع طلقاً وجئتم
فسقى الأرض ريها وسقيتم
فرياض من الربيع حوال
ولعمري لولاكم ما عبأنا
ورياض الربيع خضر ولكن
قد يشم الصديق من نفحة الإخ
أنتم إخوتي ربيعي لا ذا
لن يفوت الربيع عيشي ما أص
جمعتنا مودة فلبسنا
ليلتي هذه جدير سناها
والليالي إذا أتتك بإحسا
فلتكن كرة إلى مثل هذا
عندي الليل والنهار سواء
ولئن عدت إنني لشكور
فاغتتم ذلك اللسان فإن الـ

العقل والموت

ترى ينسخ الإصباح من ظلمة القبر
أما هاتف يرثي لنفس يقيمها
إذا التام بطن الأرض يومًا على الفتى
وكيف تواري نوره مستطيلة

ويكسر برد الموت محي من الحر
ويقعد لها قولها لها الدهر لا أدري
أخطو الحمام العقل أم هو يصرع
على حين ما ضاقت به الأرض أجمع

الليل والهم

قمر يحلم في لج السما	باهت اللألاء من طول السهد
ساكن يسخر منه كلما	قام بالقلب حنين وقعد
ما أضل القلب بالليل وما	أضرب الوجد عليه بالسدد
ينفذ الليل وإن طال وما	لعباب الهم ذي اللج نفد

الضمير

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملاً ولا أبالي الورى ماذا يقولونا
همي ضميري فإن أرضيته فعلى رأي العباد سلام المستخفين

الملاح المسحور

أصبحت كالملاح صافح عينه	ملء النواظر من رواء باهر
سحرته من حور البحار خريفة	حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهمته عما يتقي	من صخرة تردي ويم زاهر
بيناه يرمقها تعالت حوله	لجج على لجج كطود سائر

مخاوف النفس

أقلَى الدنا وأخاف فرقتها
وأهاب نفسي أن تكشف لي
ويُرْوعني يأسِي ويفزعني
ولرُبَّ جوهرة ظفرت بها
ورجعت أنظر هل بها أثر

لشقيت بين المقت والزود
وأبيت من أمسي على ضمد
أملِي وأفرق من لقاء غد
فنفضت منها كف مرتعد
منها يظل يهيض من جلدي

حصاد عيش

جودتها فيك بل على سور
والعمر عهد الشباب والصغر
بمنطق كالجمال مختصر
بمثل سح الغمام الهمر
موصول خيط الرجاء بالذكر
مضناك قد صار ميت الخبر
كالنسر هاضته رعدة الكبر
كأنما قد أصيب بالبهر
يرسل حيران رائد الفكر
لو نال ردًا مسائل القدر
مزهف اللب بين الصور
غيب وأطوي مسافة الهجر
من الدجى في غلائل السحر
يَقْظَة والنوم مدّة العمر!
تخطئنا دون شائك الإبر
فكل شيء أراه ذا عمر
نَّ العيش ورد مرنق الصدر
وينطوي في التراب والمدر

يا حسن وا حسرتا على غرر
أبليت فيك الصبا وجدته
يا ناطق الحسن من لعاشقه
يا ضاحك الثغر من لعابسه
يا ناعم البال إن كاسفه
يا ساكن النفس إن ثائرها
أقعده الهم عن مراغبه
أنفاسه زفرة مقطعة
يظل في فحمة الدجى أبدا
كيف سعت بي إليكم قدمي
تري تريحه الأحلام عاشقه
يا ليتني في الكرى أخوض له الـ
يطلع طيفي كالفجر منفلتا
أقول قد جاءك المعبذب في الـ
يا زهرة الحسن ما لنفحتها
أليس للوجد والأسى أمد
يا ثاني العطف بعض زهوك إـ
أهونُ بشيء يلفه كفن

أُدْمِيَّةُ أَنْتِ لَا حَايَا بِهَا لَضَلُّ بَاغِي الْحَايَا فِي الصُّورِ
لَا عَجَبٌ أَنْ تَكُونِ ذَا عَنَفٍ يَا لَيْنَ الْحَسَنِ يَا أَخَا الْحُورِ
النَّفْسُ مِثْلُ الْحَايَا مَعْتَرِكُ تَسْطُو بِهَا أَنْعَمُ عَلَى آخِرِ

* * *

يَا سَنَةَ غَالَهَا الزَّمَانُ وَمَا غَالَتْ سَوَانَا حَوَائِلَ الْعَصْرِ
لَيْتَ زَمَانًا مَضَى تُودَّعُنَا هَمُومُهُ الْعَائِدَاتُ بِالذِّكْرِ
أَوْ لَيْتَ يَنْسَى الْفَتَى حَوَادِثَهُ جَمْعَاءَ حَادِي الرُّوحَاتِ وَالْبَكْرِ
يَسْتَدِيرُ الْحَوْلَ غَيْرَ ذَاكَرِهِ مُسْتَقْبَلًا غَيْرَهُ بِلَا حَذَرِ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَلَا طَرِيقَ الْـ سَدَّهْرَ ذَرَاهُ بِالْصَّفْوِ وَالْكَدْرِ
خَلَى غِبَارَ الْأَسَى لَنَا وَمَضَى عَامَ بَغِيرِ الْأَهْوَالِ لَمْ يَدْرِ
مَهْنَثِي بِالْجَدِيدِ مِنْ زَمَنِي خَلَفَنِي الْعَامَ غَيْرَ ذِي وَطَرِ
خَلَفَنِي مُتَعَبًا أَتْنُ مِنْ الْـ بَرْحَ وَلَا أَسْتَقِرُّ مِنْ ضَجْرِي
مَغْرُورِقِ الْعَيْنِ غَيْرَ فَائِضُهَا مَا أَوْجَعَ الدَّمْعَ غَيْرَ مِنْهُمْ
مَنْتَفِضًا لَا أَزَالُ أَلْتَمَسُ الْـ شَمْسَ وَهِيَّاتُ لَا سِوَى الْقَرْرِ
حَصَادِ عَيْشِي الْهَشِيمِ وَآسَفِي عَلَى الرَّطِيبِ الرَّفِيفِ مِنْ شَجْرِي
ذَاكَ فَهَلْ لِي فِي مُقْبَلِ عَوْضِ مِنْ مُدِيرٍ بِالْأَذَاةِ مَنْحَسَرِ
يَنْشُرُ لِي لَذَتِي كَمَا يَنْشُرُ الْـ صَيْفَ بَعِيدِ الشِّتَاءِ وَالْمَطَرِ
فَتَمْرَحُ النَّفْسُ فِي رِيَاضِ هَوَايَ حَوَافِلَ بِالْثَّمَارِ وَالزَّهْرِ
وَتَسْعِدُ الْقَلْبَ زَهْرَةَ أَنْفِ أَغْنَى الصَّبَا حَسَنَهَا عَنِ الدَّرْرِ

* * *

هَاتِ اسْقِنِي يَا نَدِيمَ وَاطْمَئِنِّي حَتَّى تَرَانِي نَسِيتَ مَذَكَّرِي
إِنْ أَغْنَانِي الْأَسَى وَإِنْ حَسَنْتِ أَرْضِيَّةَ يَا نَدِيمَ فَاقْتَصِرِ
أَرْجِعْنَا صَبِيَّةَ مَوَاجِدِنَا مَنْطَقَنَا صَرْخَةَ مَنْ الْخُورِ
نَلْتَمَسُ النُّورَ كُلَّ مَلْتَمَسِ هِيَّاتُ وَالْحِظْ جَدَّ مَعْتَكِرِ
هَلْ كَانَ مَا مَرَّ مِنْ لَذَائِذِنَا كَمَا زَعَمْنَاهُ طَيْبَ مَخْتَبِرِ
يَنْبُوعِ صَفْوِ النَّهَارِ مَزْدَحَمِ رَقْرَاقَهُ بِالظَّلَامِ كَالْجَزْرِ
لَكِنَّمَا الْوَهْمُ صَيْقِلُ صَنْعِ يَحِيلُ لَمَعَ الزَّجَاجِ كَالدَّرْرِ

والمرء أعلى بما مضى نظرًا، لبعده أو لحاضر الغير
لكن صدر الفتى يجيش فما يُسعد كالشعر غير معتسر
كما احتبى بالهشيم ذو عدم لم يُلِفِ إله في الدجى الخصر

* * *

ذهني محراب حسنكم وبه صورتكم دون سائر البشر
وخاطري لا يني يرتل كالـ سراهب آيات حسنك العطر
لأبنيين مذبحًا وأجعل قر باني فؤادي وما انقضى وطري
إذا خبت ناره وقصت لها عود المنى فهو غير ذي ثمر
فأقبل فؤادي لحسن وجهك قر بأنا فقد كان خير مدّخري

محمد وعزوز أو الموسيان

من وحشة العيش ومن نكره
فلا عدمت الأتس من هذره
وكلها أكبر من قدره
وكلهم ساعٍ إلى بره
وليس ما يدعو إلى غدره
حُب به طفلاً على كبره!
ولا يبالي الناس من فجره
يبرئني حقِّي من شكره
يضنُّ بالقبلة من ثغره
وشكره المدفونَ في صدره
يدعوك عزُّوزُ إلى مصره
أجمل إن يخطو إلى عثره
بالسامري أشبه في أمره
وشب مطويًا على غيره
في سره طورًا وفي جهره
ولا أحال الفرع عن جذره
أضل إسرائيل من فوره
أحلامهم يضحك في سره

عباس إن ابني لي مفرعُ
يؤنسني في وحشتي هذرهُ
ووثبه بين الأعيبه
وضربه هذا وتقبيل ذا
وصده طورًا وإقباله
يركب ظهري غير مستغفر
مستهترُّ لا يتقي قالهُ
لكنه فاعلم فتَّى طيِّع
يلثم كفي كل يوم ولا
أبلغ إلى عزوز أطرابه
وقل له إن فتى مازن
أيهما بالله يا صاحبي
ومن ترى يا صاحبي منهما
رباه جبريل على دينه
ولم يفده طول تسبيحه
ولم يغير ذاك من نجره
لما غدا موسى إلى ربه
وجاءهم بالعجل مستحقرًا

ومن ترى موسى الكليم الذي رباه فرعون على كفره
رباه فرعون فما راعه إلا نبي في فتى بره
يدعو إلى الله ورضوانه ويرعد الجبار في قصره؟

* * *

لا مال أخشى منه إتلافه عباس في المقبل من عمره
ولا أباليه إذا ما غدا يزهد في العيش وفي وفره
يعدو على الناس بسوآته ولا يصيب الناس من خيره
ولست أخشى أن أراه فتى قد وسع العالم من شره
لكنما أشفق يا صاحبي من أن يجيش الشعر في صدره
من يشتري شعري على حبه براحة الغافل عن دهره
من يشتري تغريدتي موهناً بغطة الزاهل عن فجره
من يشتري دمعا يحس الفتى جولته لا الفيض من قطره
من يشتري نفساً وآلامها بثقلة المأفوك في فكره
من يشتري هذا سوى مائق يسعى برجليه إلى ضره؟

يا أم

يا أم لا تجزعي مما يداهمنا
تمضي المقادير فينا الحكم عادلة
وكل ضائقة تعرفو إلى فرج
ضل الذي يرتجى تأخير قسمته

من الخطوب ولا تأسي لما فاتا
ويقسم الله أرزاقا وأقواتا
وإن لليسر مثل العسر ميقاتا
قد مات كالكبش إسماعيل قد ماتا

الميت الحي

أرسلت إلى صديقنا المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم، وقد دعاني إلى الدخول في جمعية «أنصار التمثيل».

وَجَفَ مِنْ عَوْدِهِ الْمَنَادُ أَنْضَرَهُ أَعْطَاكَ كَنْزَ عِظَاتٍ فِيهِ مَنْظَرُهُ أَوْ أَنَّهُ جَدَثٌ يَمْشِي وَتَنْكَرُهُ لَا يَعْرِفُ الْجَرْحُ إِلَّا حِينَ تَسْبِرُهُ أَخَاكَ حَالٌ وَلَكِنْ لَيْسَ تَنْصَرُهُ	مَا تَصْنَعُونَ بِفَانٍ مَاتَ أَكْثَرُهُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى كَادِي شَبِيبَتِهِ كَأَنَّهُ جَثَّةٌ لَمْ تُلَفِ دَافِنُهَا فَاعْذِرْ أَخَاكَ وَلَا تَنْكَرْ تَخْلَفُهُ نَعَامَ عَيْنُ شَقِيقِ النَّفْسِ لَوْ نَصَرْتَ
---	--

الجزء الثالث

معاهدة غرامية

أيها القارئ:

نحن طلاب جديد، مبتدعون حتى في سياسة الحب، فلست بواجد هنا ما يتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد؛ لأنهما مما تأباه الطبيعة، والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه، ومغالطة قلبه، ثم ينتهي بمخادعة غيره.

والوفاء في حياة القلب كالثبات على رأي واحد في حياة العقل؛ كلاهما ليس إلا اعترافاً بالإخفاق، وإن في الوفاء لو تدبرت لشيئاً في شهوة الملك، وما أكثر ما نود أن نرميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا، وكثيراً ما يكون الوفاء راجعاً إلى نقص الخيال، أو كسل العادة. ولقد غبر زمن كنا نحسب أنفسنا فيه أوفياء، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم، أما الآن فقد أرحنا واسترحنا، وإليك المعاهدة وديباجتها:

أعين الفكر عساه أن ينام	غنني يا ريح حتى تغمضي
واطردي عني شياطين المنام	وامسحي وجهي وتغضين الأسي

* * *

وبقلبي وحشة البيد القواء	إن في أذني أعاصير الشتاء
كل شيء لي في أسر الشقاء	تصف العين إذا قلبت لها

* * *

في خريز الماء جيّاش الضمير	فكأنني سامع شكوى الكلال
حول أعضاد الرواسي كالسيور	وكأنني ناظر قيد الليالي

* * *

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلًا يندب الحسنَ بأشجى منطقٍ
وسعتهُ الريح تنكيلاً وبيلًا فقضى والحسن لما يخلق

* * *

ولقد أسمعُ في الليل البهيمُ ضجةَ الموتى وأبناء الجحيمِ
وكهمس الموت في أذن الكليمِ خطرةُ الريح على النبت الوشيم

* * *

يا خليلي أخبراني واصدقا هل لليل اليأس صبح ينتظرُ
مرَّ بي الدهر عبوساً أزرقا كاشفاً عن ناب نضناض ذكر

* * *

هذه كفي على خون العهد! لا على الرغي؛ فهذا لا يكونُ
إنها دنيا كذابٍ وجحود ولصدقُ النفس أولى لو يهون

* * *

هذه كفي على وشك الملal كل نار سوف يعلوها رماد
أه لو أطيع تصديق الخيال أو يكون الجهل شيئاً يستفاد!

* * *

هذه كفي علي أن أصطلي بك نارًا دونها نار سقرُ
وإذا لوحتني تترع لي كأس مُهل في عتيقات القدر

* * *

نقلِي السهد عليها والضنى ورياحيني - لو تدري - الهموم
شجَّها الدهر بمحذور النوى فنوازيها خبال ووجوم

* * *

وألقيك وتلقاني كما ناطح الموج جلاميد الصخور
مزبداً حولك مهزوماً وما إن تبالي كيف هاضتني الوعور

* * *

يا عقيدي طامن الله حشاك! لن تراني شاكياً وهي حبالك
أين من طينتنا أين الفكاك؟ أنت إنسان على فرط جمالك

اللُّصُّ

تعوّدن السؤال على الدهور؟
يفأخر بالعضيّهة والفجور
وعلمك التزمّل في الحرير
مبيتك خلف أبواب القصور
فكيف ظفرت بالمال الوفير؟
وما في كفه شروى نقيير؟
وطورًا في الأزقة والكفور
كأن أباك كان من الحمير!
وأهون دائه ضعة العشير
وكن منه على يأس كبير
سجايا اللؤم والأصل الحقيير
كمركب ثعلبٍ ظهرَ النسور
لمنفعة وإن تك كالعبير
لعمرك في قليل أو كثير
فكل الناس ذو نظر حسير
أرى الذلان يغضب في أمور
تداني فيه ربّات الخدور
وليس المرء تمثال الصخور

لمن مال تبعثره أكف
لحاك الله من لص رقيع
وسبحان الذي آتاك مالاً
وأسكنك البيوت وكنت قدماً
ورثت خصاصة وأصبت مالاً
أتذكر حين كان أبوك يمشي
يدلّ يومه في السوق طوراً
ويوقر ظهره مولاه حتى
فذا البيت الذي تبني عليه
وليس بقابل رفعا فدعه
فما كل الأسافل ساعدتهم
وإنّ سيادة السوقيّ — فاعلم —
وإنك كالنعمامة ليس ترجى
وأشبهت الطيور ولست منها
وتحسب أنها إما تعاشرت
لقد زعموك إنساناً وإنّي
وقد تجد الهلوك لها حياءً
وقالوا لا يزايله ابتسام

فهلأ علقوه على جدار
فكان على صنوف الخزي رمزاً
أترجو أن تُعَدَّ فتى شريفاً؟
لأوحشت السجون وإن فيها
أتأنفها منازل كان فيها
نظارٍ فإن حكم العدل يوماً
إذا تلقى جزاءك بعد مطل
فكلّ رزق العباد وكن صبوراً
وكلّ ما شئت من لحم غريض
ألا فابعث إلى أبويك طراً
وحفوه بأنزال العصور؟
وعنواناً كأصبعك المشير
فهذا حين تُطوى في القبور
لدوراً جمّة من فوق دور
أخ لك ليس أضرى بالشرور؟
مصيرك للخبيث من المصير
ويسملك القضاء إلى الغفور
على سوء المقالة والنكير
هنيئاً غير داء في الصدور
بألوان المعانر والقتير

خواطر في الموت

لا يكاد يصدق المرء أنه سيموت، أو على الأصح أنه سيفقد إحساسه بنفسه وبما حوله، وهو معنى الموت، وقد كنت في صدر أيامي أكاد أجن كلما طاف بي خاطر الموت، أو سك سمعي لفظه، ولكن الأيام كفيلة بتبليد النفس بما تجشمها من معاناة تصاريفها، وبما تشعرها من دبيب الفناء شيئاً فشيئاً، والآن صرت أفكر في الموت كما أفكر في أكلة شهية: لا فزع ولا جنون، وكل ما أنقمه من الحياة والموت جميعاً أنني سأموت قبل كثيرين غيري، وقبل أجيال عديدة ستأتي بعدي! وكل ما يحيرني هو استمرار هذه الحياة، التي أعياني طلاب معنى لها، أو فائدة أو غرض، وهي ستنتهي على أي حال، فما ضر لو قضت «الحياة» نَحْبها الآن في عهدي؟

في هذه الحالة النفسية ترجمت بيتين، ونظمت قصيدتين، فليقرأها القارئ في ضوء هذه الحالة أو في ظلامها!

(١) ليتهَا ...!

بيتان مترجمان عن الألمانية:

أَيُّهَا الزَّائِرُ قَبْرِي	اَتْلُ مَاخُطَّ أَمَامَكَ!
ها هنا — فاعلم — عظامي	ليتها كانت عظامَكَ!

(٢) الذكر

يملُّ الفتى طول الحياة ولا يُرى
ويطلبُ إما مات أن ينصبوا له
وتبدي جراحات الردى وكلومه
وينسج برد الشعر مسهر جفنه
بلى ذاك دأب الناس كلُّ بنفسه
وديدنهم حتى تجفَّ حياتنا
ويسكن نبض الأرض مثل قطينها

على الموت إلا ساخطاً جدّ واجد
معالم تستجدي دموع الخرائد
وتستمنح الأحياء ذكر البوائد
ليسبي حريم الذكر حر القصائد
يعرفنا من صادر بعد وارد
وتخلع ديباج الربيع المعاود
وتعلق أسباب الردى بالفراقد

(٣) النساجون الثلاثة

ثلاثة نساجين ثم أراهمو
نعاقب أيديهم على النول دهرهم
وما بي إلى أن تبصر العين حاجة
هنالك لو تدري تُسدّي أكفهم
هناك؟ وما قولي هناك؟ كأنما
وفي مسمعي منهم وإن كنت لا أرى
يحوكون ثوباً ناصعاً فيه تنطوي
من البرد الخزّي بعض خيوطه
ومن نفس الريح المديد خطوطه
ألا ليتني في الأرض آخر أهلها

كما راءهم من قبل عهدي آدم
ولست أراه غير أني عالم
أليس سوى ما أنت بالعين شائم
وتلحم برداً عهده متقادم
لحيث أقاموا حده والمعالم؟
وجوهم؛ أصواتهم والزمازم
— متى عريت — هذي الدنا والعوالم
ومن بلورات القر فيه نمانم
ومن قطع السحب الثقال مراقم
فأشهد هذا النحب يقضيه عالم

إلى صديق

تهنئة بانقضاء عام

أُهنّيك بالعيد لا أنني
كفى فرحاً أن عامًا مضى
فليت القلوب إذا ما انقضت
أرى الدهر ما فات لا ينتني
يموت الزمان ولكنما
وأقعدني عنك أني مريض
فهل أنت قابل عذر امريء
أرى العيد أروح من غيره
بما لقي المرء في كره
تطيب وتعرض عن ذكره
فليت الخوالج في إثره
تعيش الهموم على قبره
أعاتب دهري على سخره
يود التبرؤ من عذره؟

في رثاء بنت لي

هذه قصيدة قديمة ترجع إلى أخريات ١٩١٣م، وقد ضاعت نسختها، ولا أذكر منها غير هذين البيتين:

فقدتُك لم تعلق بذهنك صورة	وربَّ صغير رزؤه كالأشايب
تقنصك المقدار مني غرةً	وأقلع عنك الموت دامي المخالب

غَدَا

غَدَا تطلع الشمس التي أترقّب
وتصبح مني قيد لحظي بعد ما
فيافي زمان ظَلْتُ أشبر طولها
مقيلي آمالي وهن لوافح
إذا افترت الدنيا رأيت خواطري
وما أنا بالتسويد مغرّى وإنما
ورائي أيام خلعت بياضها
لقد أخدمت جري الحوادث وانتنت
وما تضحك الدنيا انبساطاً وإنما
وينجاب ليل لم يقدر فيه كوكب
تقاذف ما بيني وبينك سبب
وما لي سوى رمضائها متقلب
ونجمي ذكرى نورها ليس يلهب
تسوّد ما يبدو بها وتغيب
أطير غبار العيش عني وأسكب
وظلّت ديباجها معي حيث أذهب
تذري رمادي كل ريح توثب
لنحسن تقدير الأسى إذ تقطب

* * *

ألفت النوى حتى أراني إذا دنا
وتخدعني الآلام حتى إخالني
ويغضبني حبي وأرضى احتماله
وأجري لساني مفصّحاً ثم أنثني
غرائب حالات تظل صروفها
أصدق قلبي تارة وأكذب
سلوت، وتلهو بي الشجون وتلعب
ويا لشقائي حين أرضى وأغضب!
فأعجم ما أعني وقد كدت أعرب
بنفسي تطفو تارة ثم ترسب

* * *

غَدَا تلتقي الألفاظ بعد شرودها
وأنشد ما جودت فيك وتطرب

ديوان المازني

وترنو بعين يلثم الكون لحظها يقربها القلب المُعْنَى المعذب
وأنشق أنفاسًا بفي حاجة لها فمنه لها أهل وسهل ومرحب
وتمنح كفي راحتك مواتيا وترخي عنان الشوق طورًا وتجذب

* * *

سأشدو! ومن يدري إذا كف صادق أيدي بآذان الحبيب التطرب
إذا ما عينا بالقريض وصوغه أعطفك الذكرى علينا وتحذب؟
ويا ليت من يدري أتضحك لاهيًا إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب؟
ويلمع في عينيك نور عهديته إذا ضم جفني الردى المتوثب؟

* * *

غدا تشرق الشمس التي كنت أرقب فيا ليت شعري في غدٍ كيف تغرب

خواطر الأرق

ملل النفس

فاستلبته غمضه والرقا
أغفت ولم تسهر لهذا الفؤاد!
لا يحفل الكنز الذي قد أفاد!
وليل نفس ما له من نفاذ
أخلو بنفسي فيه دون العباد
في العين إذ يخلع عني السواد
تُخفي الدياجي دمه كالضماد

سقط على الجفن بنات السهاد
فليتها إذ سلبتني الكرى
يا عجباً من سارق زاهد
ليلان: ليل صبحه يُرتجى
ألفت وجه الليل من طول ما
ولم يعد للصباح من رونق
في النفس جرح عزني برؤه

* * *

فالآن ما أبلد هذا الجماد!
لكرها أو راغباً في ازدياد
هشم رأسي نطحه للصلا!
يأتيه من قبل الحصاد الحصاد
وضربها الأفاق دون المراد
ولو بها حول الأحاطي البعاد
ذا معممات قدحات الزناد!

قد كنت حيّ الجس يقظانه
تمر بي الأيام لا أسفا
لو كنت ما كنت قديماً إذا
عيني ملّت كل ذي نضرة
وملّت الأذن افتراءً المني
وملّت النفس أغاني الأسى
وا حسرتاً أنى تعيد الرماد

وا حسرتا أننى يُحيل الرُبى ترى وجوه الأرض لا ترتضي
حتى متى أسمع لفظ الوفاء وهل تُرى أعني به؟ أم له
— إن أمحلت — خضراء نفثُ العهد! من أجلنا أن نكتسي بالقَتَاد؟
وهل تُرى يَجمل أن يستعاد؟ عني معدى واسع ذو امتداد
ونرتقي بين أواذي الداد؟ وهل ترى تطفو سفين المنى
ويغتدي عود الهوى مورقًا يُجنى فؤادي ثمرات الوداد؟

* * *

وَدِدْتُ لو تحملني أجنح إليك لما طار عني الرقاد!
آوي إلى ظلك في ليلة أغرت بأجفاني بنات السهاد

وصية شاعر

على مثال وصية «هيني» الشاعر الألماني

أَسأل القارئ وأعفيه من مئونة الإجابة: ألا يحب المرء لعدوه كل سوء؟
أليس كرهك مصادر شقوتك طبيعياً؟

ليس هذا من كرم الخلق في شيء ولا ريب، ولكن خداع الألفاظ عظيم، وما أكثر ما
نُمُوُّ بها حتى على أنفسنا، وإن كان الأصل أن يغالط المرء غيره لا نفسه، ولكنه يألف
الرياء والغش والمغالطة حتى تجوز عليه كسواه، وكرم الخلق صفة لا وجود لها في هذه
الدنيا الدنية، ولم يمش على ظهر الأرض رجل واحد — عدا الأنبياء والمجانين — يستطيع
أن يقول بينه وبين نفسه «أنا كريم الخلق بالمعنى الصحيح».

وخير للناس أن يتقبلوا وصيتي هذه بقبول حسن؛ فإنها قطعة من القضاء، وما
أخلقهم أن يشكروا لي أنني تحرّيت العدل في القسمة، ولم أحرم أحداً من نصيبه الذي
يستحقه على عكس المألوف في الوصايا، مذ كتبت في هذا العالم، ولئن شكروا لأزيدنهم!

وتطفأ أنوار ويقفر سامرُ
وماذا يبالي من طوته المقابرُ؟
نظير التي أوصت بها لي المقادر
همومي وما منه أنا الدهرُ ثائرُ
وبالدمع لا يرقا ولا هو هامرُ

سُتْرُخى على هذي الحياة الستائرُ
فهل راق هذا الناس قصّة عيشتي
تركتُ لهم من قبل موتي وصية
وهبت لأعدائي — إذا كان لي عدى —
وأوصيت للمحبيب بالسهد والضنى

ديوان المازني

وبالجدري في وجهه ليزينه!
وبالضعف والإملاق واليأس والجوى
وللشَّيبِ بالأوجاع في كل مفصل
وكل سقام قد تركتُ لذي الصبا
وللناس ألوانَ الشقاءِ وإنني
وبالعرج المردولِ والله قادر
وبالسقم حتى تتقيه النواظر
وبالثكل في الأبناء والجد عاثر
وما كنت منه في الحياة أحاذر
إذا متُّ لا آسى على من يخامر

هَاجِسٌ

يا نفس من لي أن أحقق رغبةً
ليست تكلفني المحالَ وإنها
تُوري صدورَ الكاشحين وتَنشِّي
أكلَ التبطلُ ما مضى وأخاف أن
جمحت بنفس الشاعر المتأملِ
لثمارُ ذهنٍ مخصبٍ لا مُمَجِّلِ
فتُقر عينَ المخلص المتهللِ
يقتات من أيام عيشي المقبلِ

ولهم الثاني

قصيدة ضاعت نسختها، ولا أذكر منها غير هذه القطعة:

وطغَتْ عليك بسيلها الأيام	ملكَ الملوكِ تولت الأَحلامُ
في راحتِها النقص والإِبرام	نَفَسَتْ عليك جلالَ حِلْمكِ قدرةً
يات تضل بتيهها الأفهام	للناس غايات وللمقدار غا
ضاقت بِجرمك هذه الأَجرام	لو كان جرم المرء قدر جلاله
لنجوت مرمياً إليك زمام	أو كنت أضالَّ من ملكَت قيادةً
يهوي الذي تسمو به الأَحلام	رجل الضئيل على الصفاة وإنما
ما لا يطيق فمَلَّك الخُدام	قامرت بالدنيا وكلفت الورى
إلا بشكر هوانك الأَقلام	ولو اجتزأت لما ورثت لما جرت
أَملاً تنوء ببعضه الأعلام	هذا الورى نمل فلا تطلب به
شغل فخيرُ منهمُ الأنعام	والناس ليس لهم بغير بطونهم

* * *

بالصدع من كف القضاء حطام	ملك تملكه الزوال فعرشه
بثماره، ومضى له الآلام	ومعصب فاز الورى من سعيه

كان لي

أظلم الهم جلا عني الظلاما	كان لي في العيش ملهى كلما
ونشرناه على الدهر نياما	فطوت عني الليالي حسنه
رجّعته حدة الشوق غلاما	كلما شيخ دهرى عهده
أجتلي فيما أرى إلا رماما	لفني من بعده الهم فما

وقفة في الحياة

وقفت على الجسر الذي يعبر الورى
تحدثني نفسي بأنني هالك
ويهمس في أذني العزاء أن اتئد
فأقدمت هيأبا وأحجمت حائرا
إلى الموت والأشباح حولي تخطر
وتوهمني الآمال أنني خالد
فإن بُعيد الموت حظك أوفر
يدافعني عن نفسه ما يراود

إنشاء الشاعر شعره

تغني بشعر مسترث فتطرب
فعاد نضير النور يصبى ويعجب
نسائم في بوغائها نتقلب
وقد يمكر الصوت الندى ويكذب
خفيف كما شاء الجمال محبب
ويفرغ فيه روحه وهو ينشد
لماضي شجاه كرة وتردد
وما زالت الأمواج تُرغي وترعد

وربّ فتاة يملك الطرف حسنّها
كسته من الصوت الأنيق حلاوة
وثابت إليه روحه وتضوّعت
فكل فؤادي في نعيم ولذة
ولكنه مكر شهّي إلى النهى
وأعذب منه الشعر يتلوّه ربه
يُحسُّ إذا أجرى اللسان كأنما
كما فرت الأرواح بعد نزائها

إلى العقاد

ردًّا على أبيات تعزية

قد تزلملت في الهموم فما أخـ	ـلح بردًا إلا للبس برود
لو رمانى الزمان في نضرة العمـ	ـر لكنت الجليد جد الجليد
ولكان المصاب كالهزم في الصخـ	ـر ولكن قد حطم الدهر عودي
ما عليه لو أنه كان أبقا	ـها عزاءً لوالد مفئود؟

النسر المهيب

يا نسر ما للجنّاح لا يثبُّ
أخلدت للأرض غير مكترث
وملتَ عن دولة السماء فما
فالعين مفتوحة كمغمضة
أما يهْمُ الجناح؟ وا أسفي
أم هاضه خفتّه وأوحشّه
لا عجب إن تُحسَّ وحشّته
ويح النفوس التي تطير بها
وما لعينيك في الثرى أربُّ
للشمس تذكو والرمل يلتهب
يفوتُ منك الرماة ما طلبوا
والريش فوق التراب مختضب
عليه في الجو وهو يضطرب!
ملكُ سماءٍ تظله السحب؟
فالقُرُّ في الشاهقات مُرتقب
همّاتها حين يسخر التعب!

الحمار المُتأسد

من سيوف الهجاء ذات المضاء
مناياي طيُّ هذا الهواء
أتحدّاه بالأذى والهجاء
ود بالنور واللظى الكواء
ض ولو غبت في حبال الهباء
لت فارضخ لرغبتني وقضائي
ل وغيري بالفعل يفري فرائي
ه وللشعر مصرع الأشقياء
دي من الأمهات والأبناء
... ..

بالغ منك مأربي في السماء
ثة كل الركبان والأملء
ها دءوبًا وفعلة شنعاء
ك أنتن بهن من أشلاء
تضت منهم أحاسن الآباء
سان أطرقت شدة استحياء
ك بساق عرجاء ذات التواء
ي طوال جدًّا بغير انتهاء

النجاء النجاء يا ابن ...
لا لعمري وأين تهرب مني
أنا كالموت مُدرك كلِّ حيٍّ
أنا كالشمس مدرك ليلك الأسـ
أتوخاك حيث كنت من الأر
لو تخذت الرياح خيلا لما أفـ
أنا أفري أديم عرضك بالقو
قرب الشعر مصرعا لك تقصـ
ليس ينجيك من لساني من تهـ
... ..

ولئن طرت في السماء فإني
ويمينًا لأجعلنك أهدو
ناشرًا كل سوءة لك تطويـ
ومعيدًا من حفرة القبر أشلا
بل معيدًا آباء سوء أراك اعـ
فإذا كنت ما زعمت من الإنـ
سيقول اللعين قزْمٌ يلاقـ
إن أكن قزمة فإن قوافـ

كل ذي عاهة ولا شك جبا
كان تيمور أعرج الساق فافطن
وتأمل مثال ما نحن فيه
زعموا أن معشرًا ركبوا الما
ورأهم قزم فنأدى مهيبًا
أنا قزم كما ترون فلا تخـ
فرضوا وانبرى إليه سفيه
ذو لسانين، بل بوجهين: ملأ
يتلقاك خاشعًا باسم الثغـ
وإذا ما سمعته قلت سبحا
وإذا ما بلوته لم تصدق
ورأه القصير يضحك منه
وإذا بالسفين جاش بها التـ
وأحس الرفاق بالضيق حتى
وأخونا القصير يكبر أضعا
وانثنى سائل يقول من العمـ
قال كنت القصير قدما فأما الـ

رُ فحاذر من رجلِي العرجاء
لمعاني العاهات والأدواء
قصة سقتها عن القدماء
ء وحثوا سفينهم بالغناء
أن دعوني أكن من الشركاء
شوا زحامي مجالس العظماء
حسب الفضل كله في الرياء
ق، ووجه يعيب بالإيماء
ر ويلقي حبائل الحقرء
نك ربي ذا أوجد الفضلاء
أنه ينتمي إلى حواء
حاسبًا أنه من الأغبياء
يَّار والقزم أخذ في النماء
عالجوا غمرة الردى والفناء
فأ ولكن عن صحة وامتلاء
للاق إننا من كربه في بلاء
آن فالضخم هائل الأنحاء

* * *

ذا مثالي لو كنت تفهم يا غـ
ذا مثال العظيم يظهر في النا
يحرم الناس ما ينالون لولا

رُ ولكن حُرمت فضل الذكاء
س ويمضي بأوفر الأنصباء
ه فهم من وجوده في عناء

* * *

أنت فينا ظلمت نفسك فاذهب
أنت عارٍ من الفضيلة لكـ
أنت خالٍ من كل فضل سوى إحـ
تأخذ القرش في إباء كأن الله
كل شيء تكلف منك حتى

حيثما شئت من وسيع الفضاء
نك كاس من الخنا والغباء
سان أهل الإحسان والكرماء
أعطاك ذرة من إباء
مشية حزتها عن الأعلواء

كذب كلها حياتك يا ملـ	سعون حتى دعواك في الأحياء
لا ترد الأُكُفَّ عنك ولا تُحـ	جم يومًا عن ريبة أو خفاء
أنت يا شيخ لست بالشيخ حقًا	غير لفظ أُريدَ لاستهزاء
مثلما قيل «يا عزيزة» للبغـ	لة بغيًا تهكم بالنساء!
لِمَ رضوا أن تكون فيهم على رأـ	سك هذا الطربوش كالعلماء؟
أنت شيء، بل أنت لا شيء يا هـ	ذا وإن كنت باديًا للرائي
قسماً بالإله لو كنت في العيـ	ن قذاة ما كنت ذا إيذاء
خلق الله كل شيء لمعنًى	غير هذا المخنث المشاء
لَمْ رَبِّي خلقت هذا وما أرـ	ضاه عبدًا لأحقر الأذنياء
لَمْ رَبِّي خلقتة وهو لا يحـ	سب إلا في ساعة الإحصاء
لك وجه يُذَكِّر المرء بالعُـهـ	ر وبالمخزيات والفحشاء
وَقَفًا تصفع الصوافع منه	ذا رنينٍ مجلجل في الفضاء
... ..	
... ..	
خبروني يا قوم من أبواهُ	ما نصيباهما من الأسماء
... ..	
... ..	
أنت للنبل والحقيقة والعـ	فَّة والفضل أحقر الأعداء
حالك الحال ليس يرضى بها الكلـ	بُ فأني غدوت ذا خيلاء؟
لا بل الكلب ذو وفاء وأنت الـ	ذئب غدراً وإن تكن كالشاء
عجبًا للزمان ألبسك الجـ	بَّة والفرو بعد طول الحفاء
كنت مستفردًا شريدًا فرقيـ	ت وأصبحت ضحكة الظرفاء
وكذاك الزمان ينعم بالخـيـ	ر على غير مستحق الحباء
فقم أكل هنيئًا وكفـ	عُودت أن تمدَّ للإعطاء
... ..	
... ..	
لابسًا من شفوف أهل السخاء	راتعًا في رياض أهل الثراء

... ..
 وادعيت الذي لو اجتمع اليو
 أدبًا بارعًا وعلمًا وفهمًا
 حدث الناس أن برزون سوء
 فاكترسى جلدة الليوث فهابت
 فتوقفن مدةً ثم أقبلـ
 واستقرت آراؤهنَّ على أن
 ثم رتبْن أمرهن: ففي الصبـ
 وتباشرن ثم أشرفن ينظر
 وإذا هن راعهن نهيق
 أنت هذا الحمار لو كنت تدري
 فالتمس غيرنا ودلّس على من

... ..
 م لحيٍّ لعدٍّ في الأنبياء
 وأبًا! ويك يا قليل الحياء
 طمحت عينه إلى العلياء
 ه وحوش الدهناء قبل الشاء
 نَ يروئن في طريق النجاء
 يتقدمن نحوهً بالفداء
 ح إوزٌ وظيفية للغداء
 ن خلال الشجرَاء والقصباء
 لم يدع في هوانه من مرء
 قد أزعنا عنه ظلال الخفاء
 شئت إلا معاشر الشعراء

كأس النسيان

(أدهق الكأس! بل تمهل! إن الماضي هو الذي يظل الابتسامات المفقودة التي ستضيء طريقنا مرة أخرى، فأرق الكأس فلا بد لي أن أتذكر!)

أنسى بها ما مضى من العمر!
كأنما يُدرجان في الحُفرِ
وأَتَقِي الدَّهْرَ كَرَّةَ الفِكرِ
تمحو الذي في الفؤاد من صُورِ
من حاليقٍ للرياح والمدرِ
فزت بغير الصخور والحجرِ
حسبته درة من الدررِ
كنزي وتسحو سلاسل الخبرِ
نفسي وما قد أفادني نظري؟
في كبري الآن أو لدُنْ صغري؟
على الذي كان فيه من شكر؟
وما وجدنا في حدة الظفر؟
إلَيَّ ذكرى الربيع والزهر؟
أحلام نفسي في ريقِ البكر؟
حلمًا من العيش جد مبتكر؟
من زهر مونق ومن ثمر

هاتِ اسقني سلوةً عن الذكرِ
أنسى بها حاضري ومؤنَّفي
بها أنيم الشجونَ قاطبةً
هاتِ اسقنيها وخلَّ نشوتها
وخذُ كنوز العقول وارمِ بها
كم غصت في لجة الحياة فما
وكم نفضت اليدين من حجرِ
فخلَّ كأس العفاء تسلبني
ما ضرني لو جهلت ما علمتِ
أو لو نسيت الذي شعرت به
أو لو سلوت الذي كلفت به
أو لو فقدت الذي فرحت به
أثمَّ صوت تعيد نبرته
أثمَّ عين تثير نظرتها
وتنشر اللذة المضيئة لي
نعم لعمرى في الأرض زينتها

كأنها لافترار بهجتها
 وأها لقمرٍها إذا اتسقت
 وأها لسحر في لحظ نرجسها
 وأها لأيكاتها إذا همس الـ
 لكن أغصانهن يا أسفا
 أصبت في العزم لا الشعور فإن
 وإن مددت اليدين خانهما
 يذعرنني الشيء كان يجذبني
 أحمل عبثاً من السنين فما
 ولي من الذكريات حاشية
 فهاتها أذعر الشجون بها
 لم لا أبت الذي يقيدني
 إنني أراني قد حلت وانتسخت
 وصرت غيري فليس يعرفني
 ولو بدا لي لبت أنكره
 كأننا اثنان ليس يجمعنا
 مات الفتى المازني ثم أتى
 فامح ادكاريه إن ذكرته
 وأخلني اليوم من شجاي به

تحير نطقاً لمدمن البصر
 أسجاعه واستراح للسحر!
 يسطو بوقع السجو والفترا!
 نسيم في أذنّها مع القمر!
 بعيدة من منال مهتصر
 أدت لحظي في الشيء لم يدر
 عزم الشباب الجريء ذي الأشر
 لشد ما أستجير بالحدرا!
 عسى وراء الغايات منكدري
 في حيث أمضي محشودة الزمر
 حتى أراها تطير كالشر!
 بما مضى وانقضى من العصر؟
 مع الصبي سورة من السور
 إذا رأني صباي ذو الطرر
 كأنني لم أكنه في عمري
 في العيش إلا تشبث الذكر
 من مازن آخر على الأثر
 تعين صرف الزمان والغير
 أستأنف العيش غير منبهر

الغريرة

مرت عشاء بي فتانة
والجو ساج شاحب بدره
فقلت يا غادة أذكرتني
أمثل هذا الحسن لما يزل
ألم يزل «كوبيد» ذا صولة
قالت: ومن كوبيد هذا الذي
فقلت هذا ولد مولع
فتمتت عائذة باسمه
يا حسنهما لو أن حسناً يدوم
كأنما أضناه طول الوجوم
أحلام عيش نسختها الهموم
في عالم الشر القديم العميم؟
يرمي فيدمي كل قلب سليم؟
تذكره مقترباً بالكلوم؟
بصيد أكباد الورى كالغريم
من كل شيطان خبيث رجم!

* * *

يا بدر هل أبصرتها موهناً
بين ذراعيّ تعدُّ النجوم؟
أم كنت في ليلة ذاك النعيم
في شغل عنا بكحل الغيوم؟
يا بدر ما أفشاك رغم الوجوم!

شهداء الغُربة

فيك زهور من آنف الزهر
كالنحل شار الرياض في البكر
أن تغتدي من فواقر الفقر
ما بعده من نوًى ولا سفر
عيش امتزاج الصفاء والكدر
صدر وهزم الصروف والغير
ونفثهن السمام في الغُدر
أنوفهم بالشنار والعرر
إلا بوجه يفي بمستتر
يعمر قفر المشيب والكبر
داج مسف الركام والعكر
من كرم النفس لا من الخور
ما زال حمل الفوادح الكبر
على الذي تتقي من الضرر
من الكثير الجليل ذي الخطر
من مدر ضمكم من عفر
في القلب والذهن مائلو الصور
ما كان يصبيكمو إلى الصور

بستان آمالنا لقد ذبلت
جنى الردى نورها مخالسة
في غربة لم تكن مقدرة
ورحلة قد حدت إلى سفر
أودى بها قبل أن تجرب في الـ
بل قبل أن تبلو العواطف في الـ
بل قبل رود الصلال جنّتها
ما قارفوا سبّة ولا خطموا
ما لوّثوا روحهم ولا برزوا
أبناءنا كنتمو لنا أملا
كنتم كقوس الغمام في أفق
نبكيكم بالقلوب دامية
أبى لنا الضعف أن واجبنا
وأن نروض النفوس مكرهة
وننفذ الكف غير زاهدة
كما نفضنا اليدين وا أسفا
كلا لعمرى لأنتمو أبداً
أفواهنا لا تزال منشدة

وملء كل الصدور أمتكم
أغليتموها — لا عاش مرخصها —
يا ليت كل البنين مثلكمو
تشب في صدرهم إذا ذكروا
كأنه نغمة مؤلفة
نفوسهم معبد لصورتها
قد زلزلت كل أمة وهوى
وراج يبني الطامح هيكله
لكن نار الحياة صائحة
ستذكرون الغداة في زمر
قد مالت الشمس صوب مغربها
همت بتوديعنا وقد لبست
تنأى الهوينا كأن عالمنا
وأي جمع لنا متى انحدرت
لا ملء كل القبور والحفر
فلم توكلكمو بمنحدر
حسن بلاء وطهر مختبر
بلادهم نار حبها الغمر
لكل حر الجنان والوطر
سامي الذرى قائم على العصر
كل رفيع موطد الحجر
من نقض هذي الخرائب الكثر
تريد تمحيص كل ذي وضر
قد شيعوها بالنفس لا العشر
في برد حسن في الأفق مستطر
أفواف زين لها ومفتخر
معهد لذاتها لدى الصغر
يخطو على دق طبلة القدر!

أَيْنَ أُمِّكَ

محاورة مع ابني محمّد

لم أكلّمه ولكن نظرتي
ساءلته أين أمك؟
أين أمك؟
وهو يهذي لي على عادته
— مذ تولت — كل يوم!
كل يوم!
فانثنى يبسط من وجهي الغضون!
ولعمري كيف ذاك؟
كيف ذاك؟
قلت لما مسحت وجهي يداه
«أترى تملك حيلة؟»
أي حيلة؟
قال: «ما تعني بذا يا أبتاه؟»
قلت: «لا شيء أردته!»
ولثمته!

إلى العَقَاد

ومرشدي في حيرتي للصواب
ومنهضي أما كبابي الطلاب
وأقدس الصحب وأزكى اللباب
شيئاً وأن لا أستطيع الطباب
ضاقت بإحساسي في كل باب!
دونك أشكو ظفر وعك وناب

يا موقظي من غفلات الشباب
وباعثي إن فترت همتي
ويا عقاب الشعر يا نسرته
أعزز على نفسي أن تشتكي
أعزز، ألا يا ويح أم اللغي
لا خير في مثلي فيا ليتني

* * *

فانهض لهم واعصف معي بالكلاب
لا ضير من نبج لهم واصطخاب
أضخم من أن نتأذى السباب
وليثهم يطلب عون الذباب

أعداؤنا كثر وهم نبَّح
أو، لا فدعهم فهُمُ زمرة
يهيجهم علمهم أننا
وأنهم نئبهمو أرنب

* * *

والشعر يا أزر موح العباب
به فقدماً شددتك الصعاب!
أنك ناج ظافر في الغلاب
سوى شعور مالى للشعاب
كأنما يقرؤه في كتاب

عوفيت يا قرّة عين الحجي
لا يوهننّ عودك ما يبتلى
أقسمت أنني واثق موقن
وما لإيماني من علة
وقد يحس الغيب قلب الفتى

رثاء الشهيد محمد بك فريد

زعيم الحزب الوطني

من مُصْعَب ما كان بالمنقاد
سبق إلى الغايات والآماد
ذل الحقير وعزة الأمجاد
عجلى، وذاك لغربة وعوادي
وجَنانهِ كالكوكب الوقاد
بردَ الردى بحرارة القرصاد
أن لا يمدَّ يدًا غداة تَنادٍ
سهم المقادر ليس في الأكباد
وخروجه من حلبة الأجناد
للنار مُشفية على الأرماد
والبعدَ عن أهل وعن أوداد
ممسعى وفكَّ موثق الأصفاد
بالمال والألقاب والأعضاء
إلا بوسم الخُفِّ في الأجياد

شطنَ المنون ملكتَ أيَّ قياد
فأناخ لا يرجى لديه على البلى
وثوى بمدرجة تساوى عندها
نجمان قد غربا: فذا لمنية
وا لهفتاه له، يذوب كيانهِ
ويشيع فيه الموت وهو مغالب
يأبى على وقع الردى ودبيبهِ
ويغالط القلب القريح كأنما
وإذا تمثل حينه لضميره
نزت الحياة به تَنزِّي ألسنٍ
ويهون أن يلقى الخصاصة والأذى
كل يهون عليه إمَّا أنجح الـ
لو شاء كان على الورى مستعليًا
لكن ترفَّع عن جدى لا يُقتنى

* * *

ثَبَّتَ البَواِسلَ قَبلَ عَهدِكَ في الوَغى
غَضِبُوا لِحوزَتِهِم تُباحَ فزَحزَحُوا
وتَزاحَفُوا والنَفسُ مَلءَ شَعاِبِها
وَمَضُوا خَفاً لِلقاءِ كَأَنا
حَتى أَماطُوا الضَيمَ عَن أَوطانِهِم
لَكنَّ مَن يَمضِى إلَى مُستَنقَعٍ
وَقَد اسْتَحالَ الصَبحُ ليلًا حالِگًا
وإنْفَضَّ كُلُّ مُناصِرٍ ومُظاهِرٍ
وَإِذا أَدارَ العَينَ لَم تَأخُذْ سَوى
في حَیثما جالَت فَثَمَّ حَیالِها
وَيَقولُ لِلنَفسِ اثبَتي وَلَوِ اِنني
هَذا الشَهِيدُ، وما عَدتكَ صَفاَتِها

* * *

إِلا يَكنَ شَريعَ القَنا يَهِفو بِها
فَهو الغَمامَةُ لَم تَزل تَهِمي إلَي
أَحيثُ مَواتِ الأَرضِ بَل قُطانِها
في كُلِّ نَفسٍ نَفْثَةٌ مَن رَوحِها
وَصَدى لَنَغمَةٍ نَفسِها مَتوَثِبِ
لَهِفي عَلَيكَ جَمَلتَ وَحدَكَ صابِرًا
وَعَلَى جَيبِناكَ صَورةَ الأَمَلِ الَّذي
وَلَقَد تَبَسَّمَ وَالكَيانَ مَزلَزلِ
وا هَولَ ذَلكَ مَن صَراعٍ في الحَشا

* * *

ما كانَت مَمَّن لا يَزال يَقيِمُهُ
إِيجاسُهُ خَوفَ الأُلَى يَخشَوَنهُ
كَلّا ولا مَمَّن يَکْظُ فِجاجِهِ
لا الصَبحُ يَقرِبُهُ الأَمانَ ولا الدَجي

صاح الضمير به فليس لقلبه
بل هذه الأرواح عرشك فوقها
أو عينه منجى سوى التسهاد
والحب تاجك طي كل فؤاد
لكن قلب الشعب — ويح رجاله —
طوع الجواذب لين التقواد!

* * *

وضع الزمان على جلالك ختمه
لا يستطيع عداك طي صحائف
وأثابك التخليد في الأخلاق
نشرتها أو طمسها بسواد
لتسامح الحسَّاب والنقاد
فتضمين ذكرك ألسن الأحقاد
وبذلت أنفوس ما يضمن به الورى
حتى الحياة أذلقتها متوخياً
لا الضنك خفت وأنت ضنء أماجِد
مثل الضحية أنت فينا بارزاً
أيطاول الشجر السماء وإن تكن
ويصارع الجبل الرياح وعصفها
وينام هذا الناس ملء جفونهم
وعليهم الآفاق بالأسداد؟

* * *

قد تسقط الأزهار عن أغصانها
وترى النجوم الزهر من أفلاكها
ويقر قلب النسر وهو يرادي
تهوي، من الآباد في الآباد
شيئاً يدوم على الزمان العادي؟
من أن يضيع كصرخة في واد
لو لم يكن منا سواك مجاهد
لكفى به شرفاً وفخر بلاد!

ليلة وصباح

خيّم الهمُّ على صدر المشوق
يا صديقي!
وبدتُ في لجة الليل النجوم
ومضى يركض مقررور النسيم
وثنى الزهر على النور الغطاء!
عم مـــــساءً

* * *

هاتِ لي ... ماذا؟ ألا هاتِ الدواة
«الـــــدواة»!
أولم يغفُ مع الليل الصدى؟
فليكن لي سمراً تحت الدجى
نتداعى في حواشيه سواء
عم مـــــساءً

* * *

يا صدى إن بصدري لكلوما
وهـــــمـــــوما
مدرجات فيه لكن لا تموت

كلما قلت قضت رهن السكوت

صحن بي من كل فج يترأى
عم مـساء

* * *

سكن الليل فأترع لي الدواة
 وأُسْـاه! أين لا أين تولى قلمي؟
 «أكلته النار نار الألم»
 «كلّه» كلا! لقد أبقت ... هباءً!
 عَم مَسَاء

* * *

هات لي ... آه على قيثارتني!
«شـارتـي»!
أولم يبق بها من وتر؟
خافق بذكريات الصغر؟
ما لها تجدني في اليوم الأداء؟
عم مـسـاء

* * *

طلت يا ليل فهل ضل الصباح
في البطح؟
أيها المنفي عن حلم السماء
لم يتنه صبح ولا طال مساء
فاغتمض! لا تملأ الدنيا عواء
عم مساء

* * *

الدَّهْر والحَيَاة

أَتَعْرِفُ الحُبَّ؟ وَتَدْرِي المَنَى؟ والشَّجُو؟ هَاتِيكَ بِنَاةَ الحَيَاةِ!
كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَهُ صِبْيَةٌ الأُمْسُ واليَوْمُ وطفْلُ الغَدَاةِ

* * *

حَدَّثَنِي المَقْدَارُ يَوْمًا، وَمَا أَبْصَرَهُ لَكِنْ أَرَى مَا قَضَاهُ
قَالَ: وَكَانَ الدَّهْرُ خِدْنًا لَهَا وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ خِدْنًا سِوَاهُ
وَشَبَّ أَبْنَاؤُهُمَا بَيْنَكُمْ عَلَى وَفَاءٍ قَدْ بَلَوْتُمْ جَنَاهُ
ثُمَّ أَرَادَ الدَّهْرُ تَزْوِيجَهُمْ وَكَانَ هَذَا مَا تَرِيدُ الحَيَاةُ
فَنَادَى أَنْ شَاوِرُوا قُلُوبَكُمْ وَلِيُخْتَرِ الوَاحِدُ مِنْكُمْ هَوَاهُ
قَالَ «غَد» لِلأُمْسِ فِي جَرَاةٍ أَكْبَرْنَا أَنْتَ فَمَاذَا تَرَاهُ؟
فَقَالَ كَلَّا! إِنْ عَهْدِي مَضَى وَ«اليَوْمُ» مَا زَالَ وَرِيقًا صَبَاهُ
فَلِيَتَقَدَّمْ وَلَاكُنْ آخِرًا فَأَنْتُمَا أُولَى بِمَا اخْتَرْتُمَا
فَعَانِقُ «اليَوْمِ» شَبَابُ «الهَوَى» وَامْتَدَّ ثَغَرُ «الغَدِ» يَبْغِي «مِنَاهُ»
وَزَوْجُ «الأُمْسِ» «الأَسَى» مَكْرَهَا وَلَمْ يَزَلْ يَرْسِلُ وَاهَاً وَآهَ

* * *

تَنْهَدُ الدَّهْرُ وَنَاجَى الحَيَاةَ «يَا أُخْتُ هَلْ وَافَقَ قُطْبُ رَحَاهُ؟»
قَالَتْ: «وَهَلْ لِلْغَدِ غَيْرُ المَنَى؟» أَمْ هَلْ يُوَاتِي الأُمْسُ إِلَّا شَجَاهُ؟»

تحية البطل

(عودة سعد زغلول بعد غياب عامين لم يشهد فيهما الحركة المصرية.)

قد نفضوا عنهم غبار القرون!
كيف وقد ضحيت من أجلهم
همو بنو مصر التي لم تزل
سائل بهم قلبك ماذا الذي
قمت فكانوا رجلاً واحداً
آتوك نصراً لم يزل سيله
لا الحرب يبغون بأثامها
لكنما يبغون أن يصدعوا
ويخلعوا النير بأيدي لها
ويبتغوا في أرضهم معبداً

فانظروا! أما تعرفهم يا ظعين؟
— أو كدت — بالنفس التي لا تهون؟
تُخلف من كل الخصوم الظنون
قواه في يوم الخطار المبين؟
خلفك حتى زهل المنكرون
يقتلع الأسداد أنى يبين
ومجدها المغري الورى بالجنون
قيودهم عنهم برفق ولين
من قوة الله معين مكين
للحق والرحمة للعالمين

* * *

السلم لا الحرب هنا أرضها
وللذي صورنا وحده
ما بيننا من لم تنر قلبه
ما بيننا من لم يرد سمعه
فيينا كسير القلب وا حسرتا
ومن عدت حرقه أحشائه

والحق والحب الوريث الغصون
نظامن الرأس ونرخي الجفون
حرارة الحب ونور اليقين
وعد السماوات التي لا تمين
الكاسف البال وفيينا الغبين
أنداء عطف النفر الناعمين

ومن أغامت ذهنه شقوة فهابه نجم يضيء الدجون
لكنما ما بيننا يائس من قومه واليأس صنو المنون

* * *

يا سعد ما زلت برغم السنين لا بل برغم العنت المنتحي
عقدت أخراك بأولاتها وفي الورى بعران سوء ترى
لكنك النجد الذي لم يزل ثبت فما يطفئ من بأسه
ذو نخوة ما إن يني همه ما أبهر النفس التي لا تلين
وكلما زج بها في الأتون تمضي إلى غايتها في سكون
كأنما الأمر لها في الشئون فالحادث الأكبر إما جرى
والدهر في قصته حاذق وأصلب عودًا من فتيّ متين
كل عظيم مالى للعيون ولم يكن وعد الصبا بالمخون
هديرهم يطويه حشو البطون يغني لدى الجلى غناء المئين
طفوة عات أوجدى مفضلين حرية الشعب المهيض المهين
لطول غمز الدهر أو تستكين! عادت كأن لم تك شيبت بطين
كأنها بعض القضاء المحين والدهر في طاعتها مستلين
فما سوى تدبيرها يستبين يملي ولا يبدو مع اللاعبين

* * *

ما زال موج العيش يرغي على والظل كالعهد به يرتمي
والركب ماضٍ لا يواني الخطى كلُّ كما كان، سوى أننا
وحق تغيير لذي غلة يا سعد فانظر كيف لمع العيون
هن مرايا أنفوس أصبحت هل صيحة تسمعها خلتها
هل كنت قدرتي أننا هكذا والمرء قد يزهى بآماله
سواحل الآباد ذات الحزون على زوالية رمل القرون
إلا ليستلحق مستوطنين حلنا فما يعرفنا الأقربون
يحاول الحوض الذي يمنعون ولو بها حولك أنى تكون!
معقودة بالعيش صافي المعين تندُّ عنّا معشر المهملين؟
تالله ما أخطأ فينا يقين؟ من قبل أن يبلغها أو تحين

من ذا له جد كأجدادنا
من الذي يؤمن إيماننا
ومن سوى قومك قد أقسموا
وأن يروا أرضهمو حرة
وساحة للسلم لا للوغي
فإن نزلها فلنا فخرها
فما لنا لا تزدهينا المني

نكرهمو في الأرض طود ركين؟
بالحق في عالم هذا الفتون؟
أن ينصر العدل ولو بعد حين؟
كالريح لا يحرم منها قطين؟
يكر فيها كل عقل رصين؟
أو - لا - فلا نحسب في الجامدين
بقدر ما نحيا لها عاملين؟

* * *

أما لنا بوق نحوي به
أما سوى الشكر لدينا له
حتى ولا أسلاب شعب أمين
ألم يعد في الأرض شعب له
وهذه الدنيا مراح لمن
عذرًا إذن فالأرض قد أقفرت
وحسبه اليوم على كرهنا
وإننا نلقاه في عوده
شارفتمو الفصل فما ترتئون؟
ناشدتكم ما أنذر المشفقون
وبالمنى أضواؤها يرتمين
لنختر العز بلا كدرة
أو لا فإن الفوز للصابرين

من أخلص المسعاة للقاعدين؟
وهل يفي الشكر بدين المدين؟
عاد وما يستطيع غير الأئين؟
ما يغصب الضاري الألد المرون؟
تراه فيها بالورى يستهين
من كل ما قد تستبيح اليمين
أنا لمسعاه من الشاكرين
بروح مجد السلف الأقدمين
وما ترى آثرتمو للبنين؟
وما احتملتم في طوال السنين
على دياجير الزمان الدفين
فيه فبعض العز هون دهين
ووقفه الدهر رجاء شطون!

العراك

زادك الله رونقًا ورواءً ورعى الله حسنك الوضاء
أيها الساحري وأبقاك للغي نين والقلب صحة وضياء
وثنى عنك كل عين، إذا جا ل بسوءٍ حملاًقُها، عمياء
وتخطاك كل سوء وجازت لك العوادي وصادت الأعداء

* * *

قالت النفس إذ رأتني أدعو الله جهدي ولا أسيء الدعاء
«كم تمنيت أن تريد لي الخي ر وتسقي قبل الرواء الظماء!
أغرامًا بالناس وهم كما تع لم سوءًا وخسة وغباء؟
عبث ذاك كله ومحال فاعرف الحق واجنب الأهواء»

* * *

قلت: «ما لي لا تطلب الحسن عيني مثل ما تطلب الصدور الهواء؟
إن للحسن سحره مثل ما لل مال والجاه والذكاء سواء»

* * *

قالت اذكر لواعجًا كنت تصلي نني لظاها عشية وضحاء
أذكر الجنة التي فقد الشي خ أبونا بحبه حواء
أذكر اللعنة القديمة من آ دم فينا ولا تزدنا شقاء
وكفى بالحياة والسعي والآ مال والهمل والشكوك عناء

قَبَّ فَوَّادِي وَبَاتَ مِنْهُ خَلَاءُ؟
وَجَلَّالًا لَا يَعْرِفَانِ انْتِهَاءُ؟
أَمْ عَنَاءٌ وَبَاطِلًا وَهَبَاءُ؟
بَرَّ مِنْهَا فَتَشْبَهِي الْجَهْلَاءُ
ذَاتَ لَحْظٍ لَا يَشْبَعُ اسْتِقْصَاءُ
وَيُزِيلُ الْآبَاءَ وَالْآنَاءُ
إِنْ ذَا الشَّكِّ مَقْصَرٌ لَا مَرَاءُ
رَجَعْتَ رَوْحُهُ لَهْنِ الصَّبَاءُ
وَسَوَاهِ الْكُهُولَةِ الشَّوْهَاءُ
تَزْدَهِي اللَّبَّ نَعْمَةً وَرَوَاءُ
خَتَمٍ سَرٍّ مَصُونَةِ عَصْمَاءُ
رَرَّ عَلَيْهَا؛ جَدِيدَةُ عِزِّهَا
خَلَّلَ الشَّرَّ وَاضِحًا لَا خِفَاءُ
قَدَحَتْ مِنْهُ هِمَّةٌ وَمُضَاءُ
شَرْبَةٍ فِي حَيَاتِهِ كِدْرَاءُ؟
ثُ وَحِيٌّ يُحِيلُنَا أَنْبِيَاءُ؟
مَّةٌ صَرَفًا وَلَمْ تَفِدْكَ عَنَاءُ؟»

قلت: «ماذا أصير إن حرم الحـ
انظري! هل ترين إلا جمالاً
جعل الله كل هذا لمعنى
لا تقيسي الحياة بالذاهب الغا
إن للشاعر الكبير لعيناً
يتوَّخى بعد السماء سماء
أوتيت روحه اليقينَ فلجت
كلما شيخ الزمان عهداً
أبدًا يجتلي شباب زمان
يجتليها مطولة الفجر رياءً
ويراها عذراء ما فض عنها
لم تزل عنده وإن قدم الدهـ
ويرى بالضمير خيراً عميمًا
وإذا أحرقتة منها هموم
أفمن كان شأنه ذاك يخشى
أين كالحسن باعث لك يحتـ
خبريني عن نعمة كانت النعمـ

صر فيها بقية أو دماء؟
حملته حياته الأرزاء
نفس أدهى من شعرة بيضاء
ت بسني صغيرة عجفاء
نات والبرج ضحوة وعشاء؟
ن — لعمرى ما أسوأ القرناء
أضعيف يظاهر الأقوياء؟
فاجعل العزم والمنى أكفاء
لست فيما أرى لشيء كفاء

قالت: انظر أعماق نفسك هل تبـ
من أبى أن يقيس غورَ قواه
قد أشابتني الليالي وشيب الـ
وكأنى الزمانُ عمرًا وإن كنـ
ما عسى صبر ذي الكلال على الإعـ
نضب العزم — والمنى ثرة العيـ
شيبة العزم مع شباب الأماني؛
دون ما تبتغي حوائل ضعف
أيها الطين ما ترى بك أبغي

ض أو الأرض كنت لي عصاء
 لست أسطيع صوغه والأداء
 من عفاء — وما أمض العفاء!
 عقل يا من لا يستجيب دعاء
 ل لجأماً يغالب الغلواء
 وشمالاً مستعجلين الفناء؟
 أم وجدنا لعمرنا رفاء؟
 ب وتعتدّه لديك غداء
 لك هذا وأطرق استحياء!
 كل عقلٍ مفكرٍ إغراء
 قل لا أن تسومه إصداء
 ه كما غنت الحمام الضياء
 كة ورد لا تخطئ الأحشاء
 أن تحاكي النسور لا المُكَّاء
 ففكر حتى تصافح الجوزاء
 واسمع الدهر يضحك استهزاء!
 بغناء لا يعجب الطلقاء
 أو تلهي في سجنك الحوباء
 ه صداه مقطّعاً أجزاء
 كلما جد خوفه الظلماء
 لم — كالحر — بالخلود اجترأ
 ب سوى سلم ينيل السماء!
 ليس يألو أنفاسها إنكاء؟
 من عليها ثمارها فيحاء؟
 لاد فانساب ماضياً حيث شاء
 بَت سواء لا تملك الإعفاء
 هكذا شاءت الحياة الغناء

إن طلبت السماء قلت لي الأرض
 حرتُ حتى الذي أفكر فيه
 كل حب إلى ملال — وللحس
 خل عنك الأحلام واسع لداعي الـ
 إن للقلب جمحة فاجعل العقـ
 ما لنا ننفق الحياة يميناً
 أضمنّا عمرًا سوى ذا جديداً؟
 عشت ما عشت لاهياً تطلب الحـ
 فتأمل كم ساعة عاشها عقـ
 حولك الأرض والسماوات تغري
 إنما كان حق عقلك أن يصـ
 تطلب الحسن دائباً لتغنيـ
 مسنداً صدرك القريح إلى شو
 إن يكن ما زعمت حقاً فأولى
 ترفع الطرف مثلها في سماء الـ
 أيُّهذا المسكين مهلاً رويداً
 أنت عبد الحياة تبكي وتشـ
 أبداً لا تزال تبكي إساراً
 ترسل الصوت باكياً فيؤديـ
 مثلما صاح في الظلام صبيـ
 ومع الرق والإسار فقد تحـ
 وتقول الجمال وحي، وما الحـ
 ليت شعري أَللأزاهير وحي
 كيف تغدو الأشجار رفاة الغصـ
 أين وحي ينبوع فاضت به الأصـ
 إنما أنت كالرياح إذا هـ
 تتغنى ولست تدري لماذا؟

ت تظن القريض كان احتفاء
أن لنا في حياتنا أن نشاء
فلنبدل بأساءنا نعماء
لب بل يحرم المنى والرجاء
لا نلاقي من صرفها إبقاء
ويكلفنا الرضى والبكاء
جاء أم غصة النسيم رخاء
نا وأنا تنميها إنماء
أوسعنا في عيشنا إزراء
أغبياء قد أشبهوا البغواء
كلمات من المعاني قواء
ن رنيًا رأوا به الإكتفاء:
م جميعًا والهمة السماء!
إن حشونا عقولنا أسماء!
لج منا من لج أو من فاء
جاء والخوف والهوى والرياء
توسع الكبر والغرور اكتواء
وأمان تفيدها الكبرياء
ر وإن كان صرفه كواء
س لحقًا لا يقبل الإغضاء
ن وبرٍ يستوجبان الثناء
فجعلنا إهمالهن الجزاء

وتصوغ القريض عفوًا وإن كند
غرنا أننا نحس فخلنا
إن نكن صادقين فيما وهما
كم يريد الفتى ويحرم ما يط
نحن ألعوبة بأيدي الليالي
يتقاذفنا ويسخرن منا
ما تبالي الأيام ثارت بنا هو
فتراها أنا تقص جناحيد
وأراها لما رأتنا قرودا
عابثات بنا يخاطبن منا
حفظوا باللسان ثم تحاكوا
لا يحسون صدقها، بل يحسو
الهوى والخلود والوحي والعز
إيه ما أرخص العقول علينا
لا بعقل ولا بحكمة طبع
مغريات بنا الأماني والإع
واقفات بنا مواقف سخر
بين ذكرى تقتادنا للأمانى
نحن أهل لكل هذا من الدهر
إن للحق في الحياة على النفس
قد تناولنا الليالي بإحسا
وهبتنا العقول وهي عتاد

* * *

نعمة لم نعد بها أغبياء!
أبد الدهر نرتعي الأكلاء؟
ونشقنا ملء الصدور هواء
ت سنون ولا «مضى» ما جاء

قلت: يا ليتها إذا حرمتنا
ما عليها لو أنها تركتنا
فرعيننا ملء البطون نباتًا
ووقتنا «عد» السنين فما جا

نتقي باكتسائها الأسواء
 ثم متنا ولم نكن أحياء
 جاهلين انتهاءها والبداء
 فع إلا لواحظًا عمياء
 البسوا الجهل تحشروا سعداء
 «نعمة» الحس فاستلبنا الهناء
 بدلنا من سمومنا أصباء
 يار أو شارعًا عليه، نجاء
 ماء يرمى بشلوه الأرجاء
 ن مطيعي وتاخذي أمطاء
 ب فؤادي أم جشموني الجفاء
 ماك؛ شتى تغازل الأحشاء
 ق ولا الرعد لا ولا الأنواء»
 فعدمنا في عيشنا النظراء
 ل نظير أن يحمل الأعباء
 نًا إذا ضاعت الحياة هباءً
 قلب ولتوقفوا بهن الدماء
 لا تبالي ما حولها، صماء
 يان ما كان ذاك منا كفاء
 ر إليه ويكتسي لألاء
 ب استحالت وجوهه سوداء
 س فما أستطيع عنه التواء
 يتقاضاني الزمان الولاء
 أوسعتني عن غايتي إقصاء
 ظل ليل يطاول البرحاء
 كيفما شئن هن فينا القضاء
 وليالي ما تمل الحداء

ثم أهدت لنا البلادة كيما
 فحيينا بموتنا جهلاء
 ولبسنا الحياة في كل حال
 وتهافت بنا البلادة أن نر
 كل وجه تلقاه تقرأ فيه:
 لكن الله قد أفاض علينا
 إيه هيهات ينفع العقل أو يب
 وعلى أن سابحًا ناوأ الت
 صنو من أسلس القياد وخلي ال
 لو ترى الماء ناطقًا قال: «سيا
 بل سوء علي نازعني الرك
 لا أحس السنين تحدى ولا الأس
 لا ولا الريح إذ تثور ولا البر
 قد رزقنا الإحساس دون سوانا
 وجدير بمن تميز عن ك
 نحن أحياء الأحياء طرًا فلا ك
 فلتقيموا السدود دون مجاري ال
 ذاك خير من أن نعود صخورًا
 لو نحس الحياة بالعصب العر
 كل شيء يسبي إذا نظر الفك
 فإذا ما أجلت عين التجاري
 لا تطيلي تخويفي الحب يا نف
 وهبيني كما زعمت أسيرًا
 وهبيني مطامعي جامحات
 وهبيني سيدرك الصبح عندي
 فاذكري أنها المقادير تجري
 قلقي حجلي فما لي قرار

ألف لي منفذاً رعيت البلاء
ل جناح لهن يطوي الفضاء
نحه الله خازنا خبأ
مسرّفاً ليس يحسن الإيلاء
حلم في غضونها يتراءى
فوق أجداثهن أو تلقاء
دم إلا يستروحون عناء؟
وكتبتنا في أرضنا أشقياء
ل صباحاً وغدوة ومساء
من بأثمار حسرة سوداء
بان والبوم — لا القماري — ولاء
نأ كأرض الجحيم لا حصباء
مهمل لا ماءها ولا الصهباء
أنشقتنا الأوصاب والأدواء
أبدًا نرتعي الأذى لا المراء
وَاء بل من أغراهما إغراء
رزق الشيخ آدم الأبناء
ن جرى الخلف بيننا ما شاء
نت لحي، ولم تكن جوفاء!
زهد فيها يبرّح الغمّاء!
غب عنها في عيشه غُدلاء
قد أصابا — كلاهما — الإخطاء
وفراراً من نفسه ونجاء
ق كمن طلّقت رشاه الدلاء
ض ومن قال لن تنالوا السماء
ت فما إن أفدت إلا الظماء
فيت فيها لذي حصة غناء

فَيَّ أيد وقوة فإذا لم
هل تطيق النسور أرضاً وما زا
ظلم الله من تراه لما يم
وتعالى الإله عن أن نراه
أتريدين نيمة ليس فيها
فكأننا دمي حياة تراءت
عمرك الله هل رأيت بني آ
قد طُردنا من الفردائيس قدماً
فلنا العيش ظله راكد الثق
في بساتين شقوة يتهدل
تتداعى على نؤاباتها الغر
فرشت أرضها همومًا وأشجا
وامترى النخس من أديم صفاها الـ
فإذا هبت الرياح عليها
هذه حالنا على كل حال
شؤم ذنب جناه آدم بل حـ
قد ثكلنا سعادة العيش لما
نحن يا نفس والمقادير صنوا
حبذا هذه السعادة لو كا
حبذا الزهد في الحياة لو أنّ الـ
وأرى خاطب السعادة والرا
و«أبيقور» لو علمت كـ «زينو»
ذا كهذا يأساً من الخير طرّاً
ماتح الصخر مخفق أي إخفا
وسواء من قال ليس سوى الأر
قال «زينو» ازهدوا فأني تهالك
وطلبت اللذات طرّاً فما ألـ

فعسى تحسم الزهادة داءً ويرى صنوه «أبيقور» أن الـ ويرى أوجب الأمور على المر ولمن يرفض الحياة خليق والذي يحسب الزهادة منجى كيف تُجنى سعادة العيش لم تم أم تعالت بها استحالتها أن ما علينا لو أفلتت وقنصنا فاهربوا من نفوسكم أيها النا بلدوها فإن شر خطوب الـ ينعم الأبله الغبي ويشقى واللييب اللييب من يمحض النفس والسعيد السعيد من يقهر النفس

* * *

قالت النفس: إن للنفس فاعلم حين تنضو الأيام أوراقها الخض حصدت خيرى الليالي وسامت تتوالى الفصول من غير ميعا ويثوب الربيع يعقبه الصيف كل يوم يزداد صيفي نقصاً وتوَلَّى صواحبي عن جنابي مات عندي الصبا فدعني أنسج فرط حرصى على أزاخير عيشي وغدا الصدر للزوافر غاراً أتري أن أعود للروض أدرا خلّ عني بالله هذا لغيري وتمهل وانظر أكفى بميت الـ

لخريفًا كدهرها وشتاء ر وتذوي أغصانها إنواء أيكي الوارف الجنى إعراء د علينا وقد عدمنا الوقاء ف ولكن ما إن نصيب دفاء ويقل الربيع عندي ثواء مسرعاتٍ وكنَّ قَدَمًا بطاء لشبابي الأكفان والأسجاء زاد نوارها بكفي ذواء لا تؤدي أقباؤه الأصداء جي وأجني أزهاره الزهراء؟ أولسنا براحة خلقاء؟ زهر — مما قطفت قدما — ملاء!

حسن إلا أن أزر الصُّعداء!
كل زهراء تستبيك استبَاء
فتعاني «لسحرها» الأصغاء
بمع أنفاسهن إلا استواء
مع إذا لزَّ بالجفون إباء
ساجعات، وحسب نفسي التظاء
مع لعينين لم تذوقا البكاء؟
لغيرير يشكو لنا الأنداء؟
من بشعر ملأته ضوضاء؟
من بشعر مُروع واشتفاء؟
ض حياتي جماله الوضاء؟
ضربت ناره عليَّ خباء؟
مؤذن أن يُصيرني أشلاء؟
جاش أن يحكي الطيور أداء؟
نَّة ينفي صفائها الأقداء
فكر» فيه حنينه والنَّزاء
غصنًا يانعًا يعود أباء
تفتريه المنى عليها افتراء
حين يطغى أو ينثني بي انثناء
ن دنا ذكرها بها أم تناءى
حي للشمس وهي تفري الغماء
لا ولا خوف محدث لي انكفاء
ر وأقنى تجمُّلاً واجتزاء
خاب من بات يرتجي الصحراء
س لأخشى من يأسى استشاء
ثم آضت أمواجه هوجاء
مة والقوم ينتوون اللقاء

أغناء تريد مني وما أح
أيها الأمري بأن أتغنى
ما بها حاجة إلى صدحاتي
لم يرعهن دهرهن ولا أش
ليس تدري عيونها ألم الدم
لا لعمرى كفى بهذي القماري
أجميل إثقال شعرك بالدم
أجميل تحميلة عبء عمر
أجميل إزعاج ألحان ذي الحس
أنتقاماً أردت من حسن ذي الحس
أمن العدل أن تحيط بأنقا
كيف أشدو له وبركان صدري
كيف أشدو له وزلزال يأسى
أم ترى الشعر يستطيع إذا ما
صدحات الأطيوار فضية الر
لكن الشعر لا يزال يشوب «ال
ملت العين أن ترى كل يوم
ملت الأذن كل لفظ حبيب
ومللت الرجاء في حالتيه
لست أبكي على عهودي؛ فسيًا
أبدًا أفتح النوافذ من رو
لا رجائي مساوم عزماتي
ألقى الذي يجيء به الده
وأحاشي زرع الفيافي وقدمًا
غير أني وإن سكنت إلى اليأ
ربما قرَّ زاجرُ اليم حينًا
مثلما سادت السكينة في الحو

لا ولا تنذر الثرى والسماء
وتناجي سمومها الجرباء
حى إذا ساق صبحها البشراء
تلاً الزهر بهجة وبهاء
أقصى وجوهها استقراء
كل ما قد وسعته استقصاء
نغتدي بعد إذ نلاقي الفناء؟
ن سكونين أسكنا طخياء
ن - على ربوة الحياة - الضياء
ضى إلى المقبل البهيم مضاء
وهى تجتار هذه الأجواء
كان للناس والوجود غطاء
وأرى الصبح يعقب الظلماء
دُ وجزر قد أرهقا الأشطاء
دورة لا تحاول استثناء
كون لا شك ملهم أنباء
سرهما السر أعجز الحكماء
ن؟ وهل من يُقسّم الأنصباء؟
كون؟ أم ليس ما حيينا سواء؟
ح مضيئاً وتنسخ الأمساء
وتسيل الدُّجْنَةُ الوطفاء
ض وتشجى حمامه إشجاء
ه وتضفى رداءه إضفاء
ن وتجلو لألاءهن جلاء
رًا وما العهد أن فيه سخاء
وان طرًا وتنضج الآراء
ها فما إن تزل إلا التواء

لا تدق الرياح لليم طبلًا
بل يروئن في الكهوف مليًا
وكذاك الحياة أهول ما تسـ
إنما نرقب الذبول إذا ما امـ
قلت: ما خير أن أظل حياتي
أنا هذا الذي أحس، وهذا
أين كنا قبل الحياة وأننى
أنا كون أحس أو صرخة بيـ
أنا ظل ألقته سحب ينازعـ
أنا سهم مضى من الغابر الما
أنا ضوء الشهاب تومض ناري
لست أدري هذا الفضاء لماذا
وأرى النجم طالعا ثم يخفى
وأرى اليم لا يزال له مـ
وأرى للفصول في كل حول
كل شيء أراه ينبئ أن الـ
آية الوحي ليس تخفى ولكن
ما نصيبي من كل ما تأخذ العيـ
أترى حسنا سواء وحس الـ
أترى القدرة التي تقدح الصبـ
وتثير النسيم فينا عليا
وتذيع العبير في زهر الرو
وتجيل الشباب في صفحة الوجـ
وتضيء الشموس في بهمة الكو
ومن الصخر تفجر الماء أنها
وتربى جرثومة الخير في الأكـ
غير تلك التي المنايا أياديـ

تسعر النار في الجوانح والحر
ضلة لامرئ يحاول أن يجـ
كلما أرسل الفتى سهم فكر
مثلما طخطخ الظلام فأبدى
يا نسور المنى تعالي كما شئ
لا يلم ناهها الجناح إذا أ
لا تلم نورها العيون إذا را
فدعيني أغشى الغمار وأضحى
ودعيني أرعي الهواتف سمعي
عصب الريق فاسقني قبل أن أسـ
وانظمي لي من الورود أكاليـ
قبل أن يقضي الربيع ويلوي

ب وتوري العداء والبغضاء؟
لَوْ سَرًّا يَأْبَى عَلَيْنَا الْجَلَاء
زاد خبرًا بعجزه وابتلاء
هوله ومض بارق قد أضاء
ست فهيهات لن تصيدي ذكاء
مَّ ذراها فأشبعته اصطلاء!
مقته فانثنت تشكر العماء!
قبل أن يسدف المغيب العشاء
قبل أن يملك الردى الأرعاء
قوى بكأسٍ تذكي الحشا إذكاء
ل وأحيي بنفحها الأهواء
بي وبالزهر دهرنا إلواء

* * *

قالت النفس: هل ترى الأرض قد عا
عيش حلالها غرير فمستذ
تسع النفس مثلما تسع الجسد
وترامت آفاقها فالأمانى
لا تجوز المنى مداها وما للـ
زخرت أبحرًا وقرت صخورًا
وأبى اللحظ أن يُمدَّ وأن يأ
وأبى القلب أن يزايل طودًا
أيُّ هذا المفتون ماذا تُرى غا
إن هذي الحياة صحراء سوء
ويغر السراب فيها ويُغري
سَرَبْخُ بعد سربخ وسُهب
وجحيم من فوقنا ووطيس
ليتنا كالحديد نُصلى لنُمهى

دت فراديس لذة غناء؟
ر بأمن ووادع أحشاء؟
م فما تستضيق فيها فناء؟
ليس تبغي وراءها أرجاء؟
نَفْسُ حاج تريغهن وراء؟
وسجت أعصرًا ورقت هواء؟
خذ إلا ريحانها والإضاء؟
مشمخرًا لا يتقي إيهاء؟
لك؟ أم قد حسبتنا بلهاء؟
نقطع الشرخ قبلها والفتاء
فَنُغْذُ الإدلاج والإسراء
دون أخرى وما بلغنا الماء
تحتنا يوسعنا نأ إحماء
غير أننا نُصلى ولا إمهاء

من تُرى مُبدلي ضلالي اهتداء؟
 بي أن أخطئ الطريق السَّواء
 من ابتداءً مِنَّا وأناى انتهاء
 أوسعتُ عودك الصروفُ انحناء؟
 ر وأقوى أنيقه أقواء
 تُ شتاءٍ تُداجن الإمساء
 وعداك الحيا إذا فِضن ماء
 لك وهل ينفع السحابُ الإباء؟
 لم يُلنك استيكافُك الوطفاء
 لا نلاقي على البلى أعداء
 دَّهر في مستداره الأرحاء
 ذكر لذات ما مضى وتناءى؟
 م كما ضم سبب غيَّناء
 نارَ صدر ألفيتها محضاء
 قد يرى بطوَّها استكمال وحاء
 حاجة أن يعاصفَ النكباء
 ليِّن الماء حذرُك الشرساء
 ي على كل غيَّهم رقباء
 أنه رب صيحة خرساء
 كامنًا لا يبين أو يتراءى
 راصدات تحاول الإرداء
 أن للشر أعيُنًا نجلاء
 يًا على ما لا يقتنى أنصباء؟
 ء تُذري سمومها الرمضاء
 نشرت فوقها المنايا طُخاء
 زائل ليس يخلد؛ استغناء
 ملئوا الأرض حكمة ورواء

ولعمري الواحات كُثُر ولكن
 أنا في فدَد مُضلٍّ وأخلق
 والهدى والضلal أقرب شيئ
 أي شيء أعددت للدهر أمّا
 وغداً هيكل الحياة قد انها
 ورمت ظلّها عليك سحابا
 لك منها صواعق ورعود
 وعلى أن فيضها ليس يجدي
 وإذا أيبستك وقدة عيش
 داؤنا كامن بنا ليس أنّا
 ليت شعري إذا أدار عليك الـ
 هل يعزيك بين طاحنتيه
 صور يلتمعن في ظلمة الهـ
 وهي أما علا رماد الليالي
 وعلى أن حادثات الليالي
 ليس بالموج أن أسر اختيانًا
 زورق العمر من هشيم فحاذر
 وأقم من تيقظ القلب والراء
 وإذا ما صفت سماؤك فاذاكر
 إن في الزهرة الذكية سمّا
 إن طي الكلليل أشواك سوء
 فتنبه من غفلة الوهم واعلم
 أقمارًا بكل مالك في الدُّنـ
 تبتغي سدرة الحياة ببيدا
 إن هذي الحياة وادي هموم
 إن بي لو علمت عن كل حسن
 وبحسبي شيوخ صدق مواض

مزجوا النار والدموع فكلُّ
 إن نشأ نقبس الحرارة منهم
 همهم همنا وصنُّو أمانيد
 إليه لا تطلب التعاطف في الأر
 لو تجيب القلوب كل مهيب
 لو غدت لمسة تفيض ينابيد
 لرأيت الحياة أجمل مما
 قلَّ أن يستطيع صفوك بالو
 قد ترى الشيء ليس يبصره الخد
 ويثير الربيع عندك حلمًا
 أين في الناس وردتان تميلًا
 فاطرُح هذه الأمانيد وارفح

واجد ما اشتهى: لظى أو ماء
 أو نشأ نطفئ الأسي إطفاء
 هم مُنانا فهل نعقُّ الإخاء؟
 ض فتجني الأوجاع والعُرواء
 عادت الأرض جنة قرحاء
 مع جمال النفوس، لا الأسواء
 يتأتَّى إذا اعتبرنا الفناء
 دُّ إلى الناس أن يفيض الوفاء
 ن ولو فاض روحه استجلاء
 معجزًا فهم كنهه العشاء
 ن معًا للنسيم من حيث جاء؟
 لحظ عينيك وابغِ ثَمَّ السماء

* * *

قلت: هل تهزئين بالعقل يا نف
 ما شيوخ الصدق الذين تقولي
 أوليسوا كصبية يتضاغو
 قد تَهَجَّوْا من الكتاب حروفًا
 وسعوا سعيهم وإن علينا
 أدُمِّي تعبدن فيهم؛ فما أض
 اعبدني الحق لا الشفاه اللواتي
 لو قنعنا بسعي من سبقونا
 لغدا خلق كل هذي البرايا
 ليت لي قوة فأبطش بالعق

س فتلغي بمن مضوا لي اكتفاء؟
 ن أفاضوا على الحياة البهاء؟
 ن بأولى هذي الحياة سواء؟
 ما تعدوا بعلمها الجهلاء
 بعدهم أن نواصل الإسراء
 يع تقوى من يعبد الأسماء!
 تمتت ثم أطبقت إعياء
 ورأينا بما أفادوا اجتزاء
 سرقًا بل سفاهة وهراء
 ل وأمحو آثاره الغراء

في المناجاة

لو يذكر السيف كلوم الطعين!
ولست تدرين الذي تصنعين
وكيف والسر بصدري دفين؟
وجنة يشقى بها المتقون
نضوك يحدوه إليك الحنين
بشلوه صوبك لو تشعرين
والبحر لا يعيي أواذيه طين
جثمانِي الواهي وطيني المهين
في لجك الطاغى الذي تزخرين
كلت ذراعاي وما من مُعين
عليك وابدي في سناك المبين
يا راحة القلب وروح اليقين
وعصفه قبلك بالياسمين؟
تالله ما أنتِ وحر الشجون!

داعبتني يومًا فهل تذكرين؟
نعم هو السيف به تلعبين
أواه يا غيداء لو تعلمين!
أهواك والحب بلاء مبين
أمرٌ بالدار عسى تبصرين
كأنما يرمي عباب الهوى
والبحر قذاف بخُوضه
وا حسرتا إن حطمت صخرة
لو كنت نازًا لخبث جذوتي
يا درة غصت لها في الأسى
فضي غلاف الصدف المنطوي
حجبت عني يا ضياء العيون
ريحانتي هل خفت لفح الجوى
صدقت! إنني لافح عاصف

* * *

وددت لو مثلي إذن تذنبين!
وا شقوة القلب الذي تسكنين!
يا ليتني كنت الخلي الضنين!

أكل ذنبي أن بي حبها؟
ألا أرى حتى ولا ظلها؟
نعمى حرمانها على حبنا

عجبت للحظ وتقسميه
هبك منعت العين أن تجتلي
هل تمنعين القلب أن يصطلي
يا فتنة القلب ألا رقية
أسمعتني صوتك في ضحكة
ويلي لقد أصبحت ندابة
قد كان لي ثوب رجولية
أين إِبائي أن أسام الأذى
تجملني أين وأكرومتي
نضوت عني كل دثر وما
خلفتني عاري الهوى ليس لي
كأنما الدنيا قواء فما
فلا حياء لي أو عزة
أفوق ظهر الأرض من أستحي
هل من يرى ضعفي وينعى به
ما حيلتي لو أن لي حيلة؟
هيهات أن تدري بما هجته!
أخشى عليك الناس أن يلهجوا
يا عزتي «تيهي» ولا تعلمي
وإن سما من نبأ سره
ولم يكن عطف فلا تهزئي

وللذي قد شاء فيه المجون
جمالك الغض فما تمنعين؟
جحيم حبيك الذي تسعرين
من أخذة السحر الذي تنفثين؟
فضية؛ وأها لذاك الرنين!
أبكي بكاء الطفل إذ تضحكين
زين إذا غيري اكتسى ما يشين
أين وفائي للخلاق الرزين؟
أوى إلى فيئهما ذي السكون؟
خلفت لي إلا شعار الجنون
ما يستر القلب عن الناظرين!
أحس هذا الناس لو يعلمون
وكيف والأرض خراب أمين؟
منه؟ أفي أرجائها من قطين؟
إذا أنا استحذى فؤادي الضمين؟
تقطع القلب وما تشعرين
أتشعر الشمس برمد الجفون؟
بنا ولو كانوا من الأقربين
ما تعلم الدنيا التي تسحرين
إليك يومًا وعلمت اليقين
وحسبي الله إذا تهزئين!

انظر إلى وجهي

واحمد على وجهك رب الفنون
كذاك إلا رغبة في المجون
كنت بنفسي أول الكافرين
كما عنا «زوس» الإله الفطين
بصورة شنعاء تقذي العيون؟
يعيرني رونقه والفتون
لما غدوا يذكون وقد الحنين
كلا ولا شعري السخيف الهجين
خاوي ولا الفضل الصريح المبين
يكون لي يومًا شفيعي المكين

انظر إلى وجهي الشميم اللعين
أحسب أن الله ما صاغني
لو كنت للناس إلهًا، إذًا
بل كنت أعنو للذي صغته
ما ذنب إخواني أرميهمو
لم أُلّف من بينهمو واحدًا
يا ليلتهم بالحسن يعدونني
مزيتي لا الحسن أزهي به
ولا ثراء المال أوصيته الـ
لكنها الإخلاص لو أنه

إلى صديق

كالبحر لا يهدأ أو يستريح
لكنه من نفسه في ضريح
تحبسه دون انسياح الفتوح
وكانت البرق المضيء المليح
يحارب الدنيا بجند الطموح
فالعيش يجلوه الإخاء الصحيح
هذا الذي يعجز عيسى المسيح؟
أورثتني هذا البلاء الصريح
من خلده بعد أبينا الطليح؟

أخوك إبراهيم يا مصطفى
كالبحر حي الموج وثأبه
من حوله الشيطان لا تنثني
خلت من المعنى لحاظ له
لكنه رغم الدجى راصد
أنر إن اسطعت له عيشه
أنر وأناي لك يا مصطفى
حواء يا أماء أنت التي
كم آدم أخرجت يا أمنا

* * *

مشمراً أطلب كنز الشحيح
نعمت في الدنيا بحسني الجموح
ما كنت يوماً بالجبان المشيح!

مازلت رغم الدهر كفتاً له
فإن أنل من زمني مأربي
أو — لا — فحسبي سلوة أنني

